

إنّ الهدف الأساسي للرسالة الإسلامية وكل الشرائع الإلهية التي سبقتها هو ربط الإنسان بخالقه وتحكيم هذا الارتباط ليصل إلى أعلى درجات القرب حيث لا يبقى بين العبد ومولاه أي حجاب..

ولا شك بأن لهذا القرب حقيقة فوق الاعتبار، فيها ينال الإنسان كماله الذي خلق لأجله...

ولكي يتحقق هذا الارتباط ويبلغ أعلى درجاته، قدّم الدين الإلهي برنامجاً شاملاً عنوانه الشريعة وروحه العبودية.. وبمقدار ما يحصل الالتزام بالشريعة تعطي المجال للروح والحقيقة للبروز والتحقق في حياة الإنسان.

هذا البرنامج الإلهي المقدر للإنسانية يريد للإنسان إن يتجه نحو الذوبان في إرادة الله وإفناء رغباته وميوله الخاصة التي تسوقه نحو التسافل.. والطريق الوحيد لتحقيق ذلك يكمن في العبودية الخالصة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

فالعبودية وسيلة لإزالة كل الحجب بين العبد والمعبود، وهناك سيحصل الاستمداد من الفيض الإلهي المطلق الخالص، ويتحقق الكمال المطلوب.

وإن من أعظم فصول هذا البرنامج هي الصلاة: التي جعلت عموده وركنه الأساسي الذي يحدد مدى تحقق الالتزام بشكله الصحيح. وهي التي إن قبلت قبل ما سواها، وهي الميزان الذي يقدر العابد أن يتعرف من خلاله على حرارة إيمانه وروحانيته..

هذه العبادة السامية يذكر ما يرتبط بشروطها الظاهرية: في الأحكام الشرعية المدرج في الرسائل العملية الفقهية. فمن أراد أن يتعرف على كيفية الإتيان بها على وجه تسقط عنه في الظاهر؛ ينبغي أن يطبق تلك الأحكام كما هي لأن الله هو المشرّع الأوحد ولا يعقل أن يطلب المرء طاعة الله من حيث يعصيه.. وعليه فإن أول تعبير عن صدق الالتزام وطلب الحق تعالى هو ما يتجلى في الالتزام بالأحكام الشرعية.

ولهذه العبادة روح وحقيقة أعلى من الظاهر. وإن كان الوصول إليها غير ممكن بدون الظاهر. وقد كتب حولها العديد من الكتب أشهرها كتاب الآداب المعنوية للإمام الخميني (قدّس سرّه) وجاءت تلك الكتب عابقة بالنفس العرفاني الغني والمشبع بالمصطلحات، أو بالمستوى الذي لا يستأنس به من لا عهد له بهذا العالم المعنوي السامي..

من هنا كانت الحاجة إلى كتاب يسد هذا الفراغ ويبني جسراً بين الظاهر والباطن. ولعل كتاب سماحة الإمام الخميني يقع في هذا المكان.. فبعباراته العذبة ومضامينه اللطيفة وانتقالاته الهادئة يأخذ بأيدي المشتاقين إلى عالم المعنويات والروحانية الإسلامية العظيمة..

هذا هو باختصار الهدف الرئيسي الذي لمسناه مما كتبه هذا الإمام القائد في ذروة حركة الأمة نحو تطبيق الإسلام في ميادين الحياة..

ولو سرت هذه الروح الجياشة في كل تفاصيل التحركات والأعمال التي تقوم بها لتحولت إلى رحلة وسفر إلى الله تعالى تسير فيه كل أبعاد وجودنا نحو الهدف المطلوب.

الكتاب الذي نقدمه لقرائنا الأعزاء يأتي ضمن سلسلة الإصدارات المتعلقة بفكر هذا العالم الفقيه والمبليغ لرسالات ربه، وهو كتاب صدر باللغة الفارسية تحت عنوان «از جرفای نماز» (من أعماق الصلاة) قمنا بإعادة ترجمته. حيث صدر سابقاً باللغة العربية. ولكي تعم الفائدة أضفنا مجموعة من الكلمات والبيانات التي كان سماحته قد ألقاها في مناسبات عديدة حول الصلاة وإقامتها ونشرها والحق عليها في المجتمع الإسلامي.

إن مركز بقية الله الأعظم إذ يشكر جميع الذين ساهموا في هذا العمل، وخصوصاً الأخ الفاضل السيد عباس نور الدين، يعد القراء الأعزاء على المضي في نشر الفكر الإسلامي الأصيل في أرجاء العالم كله.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والمناجاة هي الرابطة الوثيقة بين الإنسان والرب، بين المخلوق وخالقه. الصلاة هي المهدئ والباعث على اطمئنان القلوب المضطربة والمتعبة، وأساس لصفاء الباطن وتنوير الروح.

إنها الميثاق والباعث للتحرك والاستعداد، بصورة عميقة بعيدة عن التلوين والخداع، للتخلص من كل ما هو سيئ ووديء، وتحصيل كل ما هو صالح وجميل، وهي برنامج للعثور على النفس ومن ثم صناعتها وتهذيبها.

وبكلمة موجزة هي رابطة واستفاضة دائمة من منبع ومبدأ كل الخيرات، أي الله.

لماذا عدت الصلاة أفضل وأهم من جميع الواجبات؟ واعتبرت أساس الدين وعموده؟

لماذا لا تقبل سائر الأعمال من دونها؟ ما هو السر الخارق الكامن فيها؟

بوسعنا ملاحظة الصلاة من أبعاد مختلفة:

في البداية لابد من الإشارة إلى الهدف من خلق الإنسان، الأمر الذي يعد من الخطوط الأساسية في الرؤية الكونية للإسلام. فكون الإنسان مخلوقاً والاعتقاد بأن هناك قدرة حكيمة أوجدته، يستلزم أن يكون هناك هدف ومقصد من خلقه وإيجاده.

يمكن أن نعد هذا الهدف «قطع طريق للوصول إلى محطة». قطع طريق بواسطة مخطط دقيق وبوسائل معينة للوصول. في النهاية. إلى تلك المحطة وذلك المنزل، وفي هذه الصورة لابد لنا من معرفة الطريق المنتهي إلى تلك الغاية، وتحديد المسير وجعل الهدف دوماً نصب أعيننا، لنتمكن من بلوغ تلك النتيجة المنشودة، إن الذي يضع قدمه على الطريق، عليه أن يتحرك بنحو مستقيم، ملتفتاً دائماً إلى الهدف، لا تشغله الطرق الملتوية والتحركات التي تعيقه عن الاتجاه الصحيح ولأجل حفظ الاتجاه الصحيح عليه أن لا يتمرد على أوامر القائد المرشد (الرسول) الذي عين له.

وذلك الهدف هو رفعة الإنسان وتكامله اللامتناهي، والعودة إلى الله، وبروز الخصال الحسنة فيه، وتفجير طاقات الإنسان وقابلياته الكامنة، وتوظيفها بأجمعها في طريق إصلاح النفس والعالم والإنسانية.

على الإنسان. إذن. أن يعرف الله، وأن يسلك الطريق الذي حدده الله لتساميه، دون أي تباطؤ أو تلكؤ.

إن ما يضيف المعنى على حياة الإنسان وتكامله اللامتناهي، والعودة إلى الله، وبروز الخصال الحسنة فيه، وتفجير طاقات الإنسان وقابلياته الكامنة، وتوظيفها بأجمعها في طريق إصلاح النفس والعالم والإنسانية.

على الإنسان. إذن. أن يعرف الله، وأن يسلك الطريق الذي حدده الله لتساميه، دون أي تباطؤ أو تلكؤ.

إنّ ما يضيف المعنى على حياة الإنسان هو أن يقوم بما يقربه من هدفه، وتجنب كل ما يضره، أو يعيقه عن هذا الهدف. هذه هي فلسفة الحياة، ودونها تغدو الحياة تافهة لا معنى لها.

وبعبارة أخرى: إنّ الحياة مدرسة ومختبر لابد أن نطبق فيها جميع القوانين والنظريات التي أوجدها خالق العالم والحياة، ليمكن الوصول إلى نتيجة عالية ومرضية، هذه القوانين التي هي سنن الله في خلقه، يجب معرفتها وصياغة حياتنا وفقاً لها، ولا بد أيضاً من معرفة النفس واستكشاف ذواتها واحتياجاتها. تلك هي

مسؤولية الإنسان وواجهه العظيم الذي بمجرد أدائه يكون قادراً على التحرك الواعي والناجح، ولولاه لا يمكن التحرك، أو يكون عن غير وعي، فلا يحالفه التوفيق.

والدين عبر تحديده للهدف والاتجاه والطريق والوسيلة، يمنح الإنسان أيضاً القدرة والزاد الضروري لقطع الطريق، وإن أهم متاع يحمله سالكو هذا الطريق هو . ذكر الله . وإن روحية الطلب والرجاء والاطمئنان . وهي الأجنحة المقتدرة في هذا التحليق . إنما تتفرع وتتولد من ذكر الله . إن ذكر الله يجعل الهدف وهو الاتصال به تعالى . أي الكمال اللامتناهي والحسن المطلق، نصب العين دوماً، ويحول دون الضياع، ويجعل السالك حساساً وحادراً بالنسبة إلى الطريق والوسيلة، ويمنحه قوة القلب والاطمئنان والنشاط، ويحفظه من الانزلاق والانخداع بالمظاهر الخلابية، أو الخوف من المنغصات.

إن المجتمع الإسلامي وكل مجموعة مسلمة أو فرد مسلم، يمكنه أن يخطو في الطريق الذي حدده الإسلام ودعا إليه جميع الأنبياء، باستقامة ودون توقف أو تراجع إذا لم ينس الله. ومن هنا يسعى الدين وبمختلف الطرق والوسائل لإحياء ذكر الله في قلوب المتدينين بشكل دائم.

ومن أهم الأعمال المفعممة بالدوافع لذكر الله، والتي يمكن أن تجعل الإنسان مستغرقاً بذكره تعالى وتكون موقظة للإنسان، وشاخصاً وعلامة ترشد السائر إلى الصراط المستقيم، وتحفظه من الضياع والانحراف، وتمنع من حدوث لحظة غفلة في حياة الإنسان: الصلاة.

في غمرة الانشغالات الفكرية التي تحيط بالإنسان، يندر أم يلتفت إلى نفسه، وهدفه في الحياة، أو يفكر بمضي الساعات والأيام. فما أكثر الأيام التي تترك مكانها لليل، وللأيام الأخرى التي ستسرع من جديد. وما أكثر الأسابيع والأشهر التي تمضي دون أن يلتفت الإنسان إلى بدايتها ونهايتها، أو يشعر بمضي الحياة ومعناها.

الصلاة جرس منبه، ومنذر في مختلف ساعات الليل والنهار. فهي تزود الإنسان ببرنامج وتطلب منه تعهداً، وتعطي لليله ونهاره معنى، وتشعره بقيمة الزمن. إنها تدعوه عندما يكون منشغلاً وغير ملتفت إلى مضي الزمن وانقضاء العمر، فترشده إلى انقضاء يوم وشروع آخر، وأن عليه أن يجدد ويتحمل مسؤولية أكبر وأن يفعل ما هو أهم، لقد انقضى جزء من العمر بلا استثمار فيجب أن يكون أكثر سعياً وعطاءً، إذ أنّ الهدف عظيم، فلتسع لليله قبل فوات الأوان.

ومن جهة أخرى، فإن نسيان الهدف تحت وطأة المشاغل المادية هو أمر واضح وطبيعي. وإن إمكانية الوفاء بجميع التعهدات الواقعة في طريق الهدف، والملقاة على عاتق الإنسان في كل يوم أمر شبه المستحيل.

علاوة على ذلك لا يتوفر أبداً الزمن الكافي لدراسة جميع متطلبات وأفكار هذه الرسالة . الرسالة الإسلامية التي تصنع حياة الإنسان وسعادته . في اليوم واللييلة فهذه فرصة يستحيل أن تقع في متناول اليد. الصلاة تتضمن خلاصة أصول هذه العقيدة. وإن ما فيها من الأقوال والحركات المتناسقة والمنظمة مظهر الإسلام.

بوسعنا تشبيه الصلاة بالنشيد الوطني للدول، مع فارق في المعنى والتوجهات، فلأجل أن ترسخ الدولة أصولها ومبانيها الفكرية في ذهن الشعب، وبنائه على هذا النمط الفكري، تعتمد إلى تكرار قراءة النشيد الوطني الذي يمثل خلاصة الشكل المقبول لنمط الحياة وأهدافها لدى الدولة.

تكرار النشيد الوطني سبب لتثبيت الناس على هذا النحو من الفكر، وتلقينهم أنهم أتباع هذا الوطن: والسائرون باتجاه تلك الأهداف، إذ أن نسيان أصول وأهداف، إذ إن نسيان أصول وأهداف الدولة، يعني تغيير المسار وعدم انتهاجه، وهذا التكرار يجعلهم مستعدين للخدمة في هذه الجبهة، ويعلمهم المخططات والطرق، ويرشدهم إلى المسؤوليات والواجبات ويحيي في أذهانهم أسس الدولة، ويعين له الوظيفة، ويزودهم . حينئذ . بالشجاعة والجرأة والإقدام، ويهيئهم للعمل.

الصلاة خلاصة أصول العقيدة الإسلامية، والمضيئة لطريق المسلم، والمرشدة إلى المسؤوليات والتكاليف والطرق والنتائج.

الصلاة تدفع المسلم في مطلع النهار، وفي أثنائه، وعند الليل، أن يطلب تفهم أسس العقيدة والطريق الصحيح والهدف والنتيجة وتضطرهم إلى العمل بقوة ومعنوية. هذه هي الصلاة، إنها تأخذ بالإنسان خطوة فخطوة ودرجة فدرجة حتى تصل به إلى قمة الإيمان، والعمل الكامل، وتجعل منه عنصراً ذا قيمة ومسلماً سوياً . أجل، الصلاة هي معراج المؤمن.

إن أمام الإنسان طريق طويل وشاق يؤدي به إلى الفوز والسعادة الواقعية، ويوصله إلى ذلك الهدف الذي وجد من أجله. ولكن هذا الطريق ليس هو الوحيد الذي وضع أمام البشر. فهناك أيضاً الكثير من الطرق

الملتوية والمنحرفة والخطرة التي وضعت في طريقه، وأحياناً تكون هذه الطرق خلافة جداً بحيث توقع المجتاز في حيرة وتردد في تمييز الطريق الصحيح.

فلا بد . لأجل التخلص من هذه الحيرة . من الحفاظ على الموجه الصحيح نحو الهدف والمقصود النهائي، أي نحو الله وامتلاك المخطط للطريق والمسار، وما الصلاة إلا موجه دائم نحو الله ومخطط إجمالي للطريق الأصلي. إذن، الصلاة هي المؤمن للارتباط الدائم والاتصال الدائب للمؤمن بالله، وقد أدرج ضمنها مجمل التفكير الإسلامي.

وبذلك تتضح علة توزيع الصلاة على هذه الأوقات الخمسة ومدى أهميته، إنه كتوزيع وجبات الطعام على أوقات الليل والنهار المختلفة.

ومع غض النظر عن احتواء الصلاة على خلاصة أهداف الإسلام وغاياته، وأن تلاوة القرآن أيضاً من الأعمال الواجبة في الصلاة، فإنها تعرف المصلي ببعض المضامين القرآن وتعوده التفكير في مفاهيم القرآن والارتباط به فكريباً [1] والصلاة أساساً بمجموع حركاتها تعدّ مظهراً ومثالاً مصغراً للإسلام.

الإسلام في صميم المجتمع بحث الجسم والفكر والروح الإنسانية على العمل، ويستخدم هذه الثلاثة بأجمعها لإسعادهم، والصلاة أيضاً تصنع هذا الشيء نفسه مع الفرد، إذ إنه عند الصلاة يكون كل من جسمه وروحه وفكره في حال العمل والفعالية.

الجسم: بحركات اليدين والرجلين واللسان والانحناء والجلوس والسجود.

الفكر: بالتفكير في مضامين ألفاظ الصلاة التي تشير عموماً إلى الأهداف والوسائل واجتياز دورة من التأمل والرؤية الإسلامية بشكل مجمل.

الروح: بذكر الله والتحليق في جو من المعنويات الروحية، ومنع القلب من الركون إلى التفاهات والفراغ، وغرس بذرة الخشوع وخشية الله في الروح.

قالوا: إن الصلاة في كل دين هي خلاصة ذلك الدين، وصلاة الإسلام كذلك تماماً. فالجمع بين الروح والجسم، بين المادة والمعنى، بين الدنيا والآخرة . سواء في اللفظ أو في المحتوى أو في الحركات . هي من خصوصيات الصلاة الإسلامية.

كذلك المسلم في الصلاة عندما يقيمها بشكل كامل فإنه يعمل جميع طاقاته في طريق تعاليه، يعني أنه يستعمل في آن واحد جميع إمكانياتها الجسمية والفكرية والروحية في هذا الأمر.

إن مقيم الصلاة كما يوظف جميع قواه بحثاً عن طريق الله، يमित جميع بواعث الشر والفساد والانحطاط في ذاته. وفي عدة آيات من القرآن عدت إقامة الصلاة من علامات التدين.

يظهر إن إقامة الصلاة شيء أكثر من امتثالها، أي أنها ليست فقط أن يقوم الشخص بامتنال الصلاة وأدائها بل هناك أيضاً الاسترسال نحو الجهة والناحية التي تدعو إليها الصلاة وبعث الآخرين نحوها.

قالوا: إقامة الصلاة أن يعيش المصلي ومن حوله أجواء المصلين أي الباحثين عن الله وعبادته ويحيها الجميع في خط الصلاة وجهتها.

فالمؤمن . إذن . والأمة المؤمنة بإقامتها للصلاة تحرق جذور الانحطاط والمعاصي والفساد في النفس والمحيط الاجتماعي، وتميت النزوع إلى ارتكاب المعاصي وبواعثه الداخلية والخارجية (العوامل النفسية والبيئية) حقاً إن الصلاة تحول بين الفرد والمجتمع وممارسة الأعمال الطالحة والرديلة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [2].

في ساحة النزاع وصراع الحياة، هناك حيث استعدت جميع قوى الشر بجميع ما لديها من مكائد، لكي تعدم بواعث الصلاح والإحسان في كل مكان وفي كل شخص، فأن أول سد يقوم بصد الهجوم وتدميره هو قوة العزم والقدرات النفسية للبشر، إذ بتحطيم هذا السد المنيع يغدو من اليسير احتلال قلعة شخصية الإنسان ونهب كنوزها التي تحفظ فيها أصالة الإنسان الذاتية ومدخراته من القيم والمعارف والعلوم.

وأولئك الذين يحملون رسالة جديدة ومخططات بديعة للزمان وللتاريخ، هم أكثر من غيرهم عرضة لهجوم قوى الشر، وهم بحاجة أكثر من غيرهم إلى حفظ هذا الحصن الفولاذي، حصن العزم والإرادة التي لا تقهر.

إن صلاة الإسلام بما فيها من تلقين وتكرار لذكر الله، تربط الإنسان الضعيف والمحدود بالله المطلق المسيطر، وتجعله مستعيناً به، وعن طريق ربط الإنسان بمدبر العالم، يصنع منه قدرة غير محدودة لا تزول، ويجب عدها أفضل علاج لضعف الإنسان، وأنفع دواء للعزم والإرادة.

إن الرسول الأكرم(ص) الذي كان يشعر بثقل المسؤولية في مجال التغيير الإسلامي العظيم أمام الجاهلية المستشرية، أمر بالصلاة في منتصف الليل.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ \* فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا \* إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [3].

ندخل الآن في بيان محتوى الصلاة، ودون أن نبتعد عن إطار الترجمة الواسعة، نسعى للاقتراب من هدف الصلاة من الناحية التربوية.

تبدأ الصلاة باسم الله، وذكر عظمته وسعة ذاته، وأنها أسمى من كل ما يتصوره الإنسان.

---

الله أكبر

يبدأ المصلي مناجاته بهذه الجملة، ولأجل الدخول في عمل عظيم يصنع مدخل مفعم بالعظمة.

. الله أكبر . من أن يوصف، أكبر من أن يقاس بالأرباب المتخذة على مرّ العصور، أكبر من جميع القدرات والقوى التي يمكن أن يخشاها الإنسان أو يطمع فيها، وأكبر من أن يتمكن شخص من نقض قوانينه.

إذا أدرك العبد هذه السنن، وانتخب في ضوئها طريق سعيه وجدّه، فأى قوّه عجيبة يحتويها عند استذكاره أنّ . الله أكبر . وأي أمل مفعم يعيشه؟ إنه يشعر بشكل كامل بأن جهوده كانت موفّقة، وأنّ عاقبة عمله خير، وينظر إلى مستقبله وطريقه بسعادة وأمل.

بعد تلفظ هذه الجملة يكون المصلي عملياً في حالة صلاة، وعليه أن يقرأ سورة الحمد وبعدها سورة كاملة من القرآن واقفاً.

---

[1] إنما أمر الناس بالصلاة وأن يقرءوا القرآن فيها لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً، وليكون مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل، «حديث الفضل بن شاذان عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)».



[2] سورة العنكبوت، الآية: 45.

[3] سورة المزمل: الآيات: 5.1.

## سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الجملة هي مفتاح جميع السور، مفتاح الصلاة، مفتاح جميع أعمال وحركات الإنسان المسلم، عن بداية جميع الأعمال تتم باسم الله فقط.

كلّ ما للإنسان، وجميع مظاهر عيشه وحياته باسم الله. يفتح المسلم يومه باسم الله وباسمه يختم سعيه في النهار، ويذكره يذهب إلى فراشه، وبعونه يرفع رأسه منه لبدأ أعماله اليومية من جديد، وفي نهاية المطاف يودع الحياة باسمه وذكره ويتجه إلى الدار الخالدة.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

كلّ حمد وثناء يختص بالله، لأن جميع ما هو عظيم منه، والرحمة كلها تصدر عنه، وهو مجمع كلّ الخصال الحميدة، ومنه تنبع كلّ الحسنات والإحسانات، فيكون حمده إذن حمداً للإحسان، وموجهاً لجمع الجهود التي تبذل في طريق الإحسان.

على كلّ من يرى في نفسه خصلة من الخصال المحمودة أن يعدّها من فيض الله ورحمته وعطفه ولطفه، إذ أن الله هو الذي أودع في فطرة الإنسان بذور الإحسان، وجعل من سجايه تقبّل الإحسان والفضيلة، ومنحه القدرة على التصميم، وهو وسيلة أخرى في طريق الخير والإحسان.

إن هذه الرؤية تغلق بوجه الإنسان أبواب العجب والغرور، وتحول دون تعطيل الخصال الحميدة، والقدرات الخيرة فيه.

وفي جملة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نستشعر وجود العالم والعوالم الأخرى وتربطها، فيحس المصلي أن وراء هذا العالم ووراء رؤيته الضيقة، وخلف هذا الطوق الذي افترضه لحياته توجد عوالم وأفلاك ومجرات أخرى، وأن ربّه ربّ جميع هذه الكائنات. إن هذا الشعور يميّز فيه النظرة الضيقة، القصيرة المدى، ويمنحه

الجرأة وروح التنقيب والبحث، والإحساس بالغبطة لعبوديته لله تعالى، وتبدو له عظمة عبادة الله وجلالها العجيب.

من جهة أخرى يرى جميع الكائنات، البشر والحيوانات والنباتات والجمادات والسموات، وعوالم الوجود التي لا تحصى، كلها مخلوقات لله، وأنه هو مديرها ومدبرها، ويفهم أن ربه ليس فقط رب لعرقه أو شعبه أو للإنسانية بأكملها، بل هو أيضاً رب تلك النملة الضئيلة وتلك النبتة الضعيفة، ربّ السماوات والمجرات والكواكب، ويأدراكه لهذه الحقيقة يشعر بأنه ليس وحيداً، ويعلم انه متصل بجميع ذرات العوالم، وجميع الكائنات الدقيقة والكبيرة، وبجميع الناس، وإن الناس إخوته ومسافرون معه، وإن هذه القافلة العظيمة متجهة بأجمعها نحو هدف واحد.

إن هذا الارتباط والاتصال يجعله يرى نفسه مكلفاً وملتزماً بالنسبة لجميع الكائنات. مكلفاً بهداية جميع الناس ومعونتهم، وبمعرفة بقية الموجودات واستخدامها في الطريق الصحيح المناسب للهدف من خلقها.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رحمة الله العامة تتخذ شكل قوى خلافة وقوانين منقذة ومصادر للطاقة منشورة على رؤوس جميع الكائنات، وكل شخص يحضى بهذه الرحمة إلى أن يحين أجله.

وأما رحمته الخاصة، رحمة هدايته ومعونته، رحمة جزائه وعطفه، فإنها تشمل العباد الصالحين. هذه الرحمة في هذه النشأة تبقى خطأ واضحاً على امتداد هذه الموجودات الصالحة والشريفة حتى الموت وبعد الموت إلى القيامة، وإلى حد المنزل النهائي لوجود الإنسان. الله . إذن . مصدر الرحمة عامة ومؤقتة، ومصدر رحمة خاصة ودائمة.

إن ذكر صفة رحمة الله في ديباجة القرآن وفي بداية الصلاة وبداية كلّ سورة دليل على رافة الله وعظمته، وهي أظهر صفة في ساحة الخليقة والوجود، وعلى عكس قهره ونقمته التي تصيب المعاندين والمفسدين والمجرمين خاصة، فتكون رحمته شاملة وعامة [1].

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ

يوم الجزاء هو يوم النهاية والمصير والعاقبة، والجميع يسعى من أجل العاقبة، المادي الملحد والعابد لله مشتركان في هذا الأمر، كلاهما يبحث عن طريق المصير بشكل مختلف، فعاقبة المادي هي ساعة أخرى

ويوم آخر وسنة أو عدد سنين أخرى، شيخوخة وكهولة وفناء، وأما العابد فنظرتة واسعة ورؤيته أبعد من ذلك، وليست الدنيا في نظره مغلقة ومحدودة ومحصورة، بل الدنيا واسعة والمستقبل غير محدود، وهذا مستلزم لأمل غير مجذوذ، وجهد لا يعرف الملل.

إن الذي لا يرى الموت موجبا لانقطاع الرجاء، بل يرى نتيجة عمله وثوابه متوقفة على الموت، بوسعه أن يستمر حتى آخر لحظة من حياته بنفس الحماس والتحرك الذي ابتدأ به العمل والسعي لنيل رضا الله.

استدكار أن الله هو المالك، وصاحب القرار والجزاء في يوم القيامة، هو الذي يوجه المصلي الوجهة الصحيحة، ويضفي على أعماله سمة إلهية. فتصبح حياته بجميع مظاهرها لأجل الله وفي سبيله، ويبدل جميع جهوده وكلّ شيء عنده في طريق تكامله البشرية وتساميها، ذلك أنه طريق الوحيد لمرضاة الله تعالى.

ومن جهة أخرى: يحرره من الاعتماد على الأفكار الواهية والآمال الكاذبة، ويقوّي فيه الرجاء الواقعي في العمل. إن النظم الخاطئة والمنحرفة في هذه الدنيا، قد تكمن العناصر الضعيفة المنتهزة الفرص أن تحسن أوضاعها عن طريق الخداع والرياء والكذب، وأن تجني ثمار كدّ الآخرين وكدحهم، ولكن في عالم الآخرة حيث يكون الله العادل مالكاّ زمام الأمور جميعها، وحيث لا يمكن الخداع والكذب والرياء فسوف لا يحصل أحد على شيء دون عمل.

إلى هنا ينتهي الحديث عن النصف الأول من سورة الحمد المتضمن لحمد خالق العالمين، وذكر أهم صفاته أما النصف الثاني المشتمل على إظهار العبودية وطلب الهداية، فإنه يشير بوضوح إلى جزء من أهم الخطوط الأساسية الأيديولوجية الإسلام.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ

أي أنّ وجودنا بأجمعه وجميع قدراتنا الجسدية والروحية والفكرية هي بيد الله وهي خاضعة له ولأجله. إنّ المصلي بتلفظه بهذه الجملة يحطم قيود عبودية غير الله عن يديه ورجليه ورقبته، ويجب داعي الله ويرفض مدّعي الألوهية الذين كانوا على مرّ التاريخ السبب في جعل شريحة كبرى من البشر مقيدين بأغلال العبودية والاستضعاف والأسر، ويقرب نفسه وجميع المؤمنين بالله أكثر إلى طاعة الله والانصياع لأوامره.

والخلاصة أنه بقبوله العبودية له يتحرر من جميع العبوديات الأخرى وبذلك يدخل نفسه في سلك الموحدين الحقيقيين.

إن الاعتراف بأنّ العبودية منحصرة بالله فقط هو أحد أهم الأصول الفكرية والعملية في الإسلام وفي جميع الأديان السماوية، والذي يعبر عنه بـ «انحصار الألوهية بالله» أي أن الله فقط هو الذي ينبغي أن يكون معبوداً، وأن لا يعبد أحد سوى الله.

لقد كان هناك دوماً من لا يفهمون هذه الحقيقة بشكل صحيح، فكانوا يستنتجون منها أموراً خاطئة ومحدودة، ولذا وقعوا غافلين في عبودية غير الله. فقد ظنّوا أن عبادة الله تكون فقط بتقديسه ومناجاته، وبما أن هؤلاء كانوا يصلّون لله ويناجونه فقط، فكانوا على يقين كامل من أنهم لم يعبدوا سوى الله.

إن الإطلاع الواعي على المعاني الواسعة للعبودية في مصطلح القرآن والحديث يوضح هذا التصور. فالعبادة في اصطلاح القرآن والحديث عبارة عن الطاعة والتسليم والانقياد المطلق للأمر والقانون والنظام الذي يوجّه للإنسان من أي مقام أو قدرة، سواء كان هذا الانقياد وهذه الطاعة مع التقديس والمناجاة أم من دونهما.

وعلى هذا فكلّ الذين ينصاعون للنظم والقوانين والأوامر الصادرة من أية قدرة غير الله تعالى، هم عباد تلك الأنظمة والموجدون لها. ولو تركوا بعضاً من شريعة الله، وعملوا ببعضها الآخر في حياتهم الفردية والجماعية فغنيهم مشركون يتخذون مع الله إلهاً آخر. وأما من لا يعمل البتة بقانون الله سبحانه، فإنه سيكون كافراً متجاهلاً الحقيقة الواضحة والساطعة لوجود الله، منكرّاً إياها اعتقاداً أو عملاً.

بالاطلاع على هذه الرؤية الإسلامية يمكن الوقوف بسهولة على أن الأديان السماوية التي كان أول شعار ترفعه كلمة . لا إله إلاّ الله [2]. ماذا كانت تقول؟ وماذا كانت تريد؟ ومن كانت تواجه؟

إن هذه الحقيقة (حقيقة معنى العبادة) في المصادر الإسلامية (القرآن والحديث) من التواتر بمكان بحيث لا يبقى معه أي شك أو تردد لدى المتدبرين والعلماء. ولأجل المثال نكتفي بذكر آية من القرآن الكريم، وحديث عن الإمام الصادق(ع).

قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [3].

وسئل الإمام الصادق (ع) عن تفسير قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [4]. قال (ع): «أنتم هم ومن أطاع جباراً فقد عبده» [5].

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

لا تنتظر من منافسيك ومن يدعي الألوهية أي مساعدة أو معونة. ذلك أن السبب الذي دعا هؤلاء لرفض ألوهية الله يجعلهم لا يساعدون عبادة السائرين على سراطه. إنَّ طريق الله هو طريق أنبيائه، طريق الحق والعدل والتآخي والاتصال والتعايش بين جميع أفراد البشر، وإعطاء الإنسان قيمته، ورفض التعجب والظلم والتمييز، وأما أنداد الله ومدَّعو الربوبية فقد وضعوا جميع مخططاتهم في حياتهم الدنيوية وما سرقوه من ثروات لأجل تدمير القيم الأصيلة، فكيف يمكن أن يمدّوا يد العون والمساعدة لعباد الله؟ إن هؤلاء في حرب لا هوادة فيها ضد عباد الله.

فإذن نطلب العون من الله فقط. من قوّة الذكاء والإرادة التي أودعها فينا. من الأسباب والوسائل التي وضعت بأيدينا. من السنن والقوانين الطبيعية والتاريخية التي لو عرفت لأمكن أن تشق الطريق للعلم والعمل. ومن جميع ثمار قدرته التي تعدّ من جيوشه المقتدرة الموضوعة في خدمة البشر.

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

لو كان الإنسان محتاجاً إلى شيء أهم وأولى من الهداية، فلا شك أن هذا كان سيذكر في سورة الحمد. وهي ديباجة القرآن والقسم المهم في الصلاة. بلسان الدعاء والطلب من الله.

فبالهداية الإلهية يقع العقل والتجربة في الطريق الصحيح والمفيد والمنجي، ودون ذلك يغدو هذا العقل والتجربة مصباحاً في يد قاطع الطريق أو شفرة بيد المجنون.

الصراط المستقيم، هو ذلك البرنامج الفطري الذي وضع على أساس التقدير الصحيح لاحتياجات الإنسان الطبيعية وإمكاناته وقدراته، الطريق الذي مهده أنبياء الله للناس، وكانوا هم أوائل الساعين والسالكين فيه، الطريق الذي إن استقر الناس فيه يكون مثلهم كالماء الذي يجري مستقيماً في مجراه

ويبتغى ذاتياً ودون استعانة بقوة أو قدرة نحو هدفة النهائي، إلا وهو بحر التسامي الإنساني اللامتناهي. وهو برنامج لو اتخذ قالباً للنظام الإجتماعي وطبق في حياة البشر لجلب لهم بالتأكيد الرفاه والاستقرار والحرية والتعاون والتكافل والإخاء ولوضع حداً لجميع المآسي البشرية المزمنة.

ولكن ما هو هذا البرنامج وهذا الطريق؟ الكل مدّع في هذا السوق المزدهم، ويرى كلّ فرق غيره على خطأ، فيجب أن تحدد الإشارة المناسبة لهذه الديباجة القصيرة للصرّاط المستقيم من وجهة نظر القرآن، لذا تستمر السورة بهذا النحو:

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

من هم أولئك الذين شملتهم نعمة الله وحصلوا عليها؟ لا شك في أنه ليس المراد من النعمة المال والجاه والعشيرة المادية، إذ أنّ أبرز أمثلة الحاصلين عليها هم دائماً من الدّ أعداء الله وخلقه. بل المراد بها نعمة أكبر من هذه الزخارف، إنها نعمة اللطف والعناية وهداية الله، نعمة معرفة القيمة الواقعية للنفس واستعادة الذات.

وفي موضع آخر عرّف القرآن الكريم الحاصلين على هذه النعمة: ﴿مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [6].

فإذن يطلب المصلي في هذه الجملة من الله أن يهديه إلى صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وهذا خطّ واضح على طول التاريخ، وطريق ظاهر وهدف معين وسالكون معروفون.

وفي مقابله خطّ آخر، وهو واضح أيضاً، وله أتباع مشخصين، ويذكر ذلك الطريق وسالكيه يهيب المصلي بنفسه ويحدّرها أن تطأ ذلك الطريق أو أن تنحرف نحوه، وهذا ما يبينه في تنمة الدعاء السابق بهذا الشكل.

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

من هم الذين غضب الله عليهم؟ هم الذين وضعوا أقدامهم في الطريق الآخر المخالف لطريق الله وجرّوا الكثير من الناس الآخرين الغافلين من فاقدى الإرادة والضعفاء أو الواعين والمريدين ولكنهم أجبروهم وساقوهم على السير في هذا الطريق. إن الذين أمسكوا على طول التاريخ بزمام أمور الناس عن طريق

القهر والجبروت والخداع والنفاق، وصنعوا منهم الكائنات مجبرة وآلات تابعة (مستضعفة)، الذين أعدوا وفسحوا المجال للذيلة والعلاقات المنحطة عن طريق استغلال الناس والتسلط عليهم.

بعبارة أخرى: إن الأشخاص الذي صاروا مورداً لغضب الله هم الذين سلكوا طريق الضلال، لا عن جهل وغفلة بل عناداً، وبسبب الأنانية وحب الذات.

في الواقع التاريخي كانت هذه المجموعة تتشكل من الطبقات العليا والمقتدرة، التي كانت دائماً مستهدفة من قبل الفضائل الدينية، وكانت أهداف الدين ترسم خطّ بطلان فلسفة وجوهم، وكانت أول خطوة تخطوها تلك الفضائل هي خطوة الاعتراض عليهم.

وغير هاتين المجموعتين: مجموعة المهديين ومجموعة المغضوب عليهم، هناك أيضاً مجموعة ثالثة ينتهي بها الطريق إلى نفس ما ينتهي إليه المغضوب عليهم [7]. الجملة التالية تشير إلى هذه المجموعة من الناس.

### وَلَا الضَّالِّينَ

الذين سلكوا عن جهل وغفلة، إتباعاً لأسيادهم المضلين، طريقاً غير طريق الله والحقيقة، في حين أنهم كانوا يظنون أنهم سائرون في الطريق الصحيح، مع أنهم يخطون في طريق خطر، ويتجهون إلى نهاية مرّة.

هذه المجموعة أيضاً يمكن مشاهدتها في التاريخ بوضوح، إنهم كلّ الذين كانوا يمثلون أوامر أسيادهم في النظم الجاهلية، ويطيعونهم إطاعة عمياء، وكانوا من أجلهم يخطئون الذين ينالون بالحق والعدل ويهتفون بدين الله، وحتى أنهم يقفون بوجههم أحياناً، ثم لا يسمحون لأنفسهم ولو لحظة واحدة بإعادة النظر بهذا الطريق الذي سلكوه عن جهل.

ونحن نسمي هذا الأمر جهلاً لأنه يحقق مصالح الطبقات المستكبرة، ويدمر هؤلاء الضالين أنفسهم، وعلى العكس فإن دعوة الرسل تستأصل شأفة الفئة المغضوب عليها وتعمل طبعاً لأجل الطبقات المحرومة والمستضعفة، ومن ضمنها هؤلاء المغفلون.

إن المصلي باستذكاره الحالتين (حاله المغضوب عليهم) وحالة (الضالين) تنشأ لديه حالة الحساسية والدقة في تحديد الطريق الذي ينبغي أن يسلكه، والموقف الذي يجب اتخاذه تجاه الصلاة المنقذة التي

يدعو إليها الأنبياء، وعندها إذا رأى في سلوكه في الحياة علاقة تدل على الرشد والعثور على الطريق، يلهج ثانية شاكراً هذه النعمة الكبيرة قائلاً: الحمد لله رب العالمين [8].

وبذلك ينتهي جزءاً مهماً في الصلاة.

كانت هذه بداية القرآن التي تلاها (فاتحة الكتاب).

ديباجة القرآن . كديباجة كل كتاب . تعطي صورة عامة لمجموع معارف الكتاب، فكما أن الصلاة خلاصة وصورة مصغرة للإسلام، أشير فيها إلى الكثير من الجوانب والنقاط البارزة لأيدولوجية الإسلام، فإن سورة الفاتحة أيضاً هي فهرسة للنقاط البارزة والخطوط العريضة للمعارف القرآنية والمشملة على خلاصة التوجيهات المهمة فيه، ولهذا:

فإن العالمين والعالم شيء واحد متصل أنشأه الإله . رب العالمين . كل شيء وكل شخص واقع تحت رحمة الله وعطفه، وأما المؤمنون فلهم رحمة ولطف خاص منه: الرحمن الرحيم.

إن حياة الإنسان مستمرة بعد هذا العالم، وإن الحاكمية المطلقة هناك لله: مالك يوم الدين، على الإنسان أن يتحرر من عبودية غير الله، وأن يحيا تحت ظل رعاية الله، بالخصائص الإنسانية وفي طريق الإنسانية، حرّاً مختاراً: إياك نعبد وإياك نستعين.

عليه أن يلتمس طريق السعادة والصراط المستقيم في حياته من الله: إهدنا الصراط المستقيم، عليه أن يشخص جهة الأعداء والأصدقاء، وأن يتعرف على أفكارهم واستراتيجيتهم ليحدد موقفه من كلتا الجبهتين بما يمليه عليه إيمانه: صراط الذين أنعمت عليهم..

---

[1] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ . سورة الأعراف، الآية: 156 . يا من سبقت رحمته غضبه (دعاء مأثور).

[2] يرجع إلى سورة الأعراف، الآيات: 59، 158، وسورة هود، الآيات: 50، 84، فقد نقل عن عدد من كبار الأنبياء أنهم رفعوا هذا الشعار طليعة دعوتهم.

[3] سورة التوبة، الآية: 31.



[4] سورة الزمر، الآية: 18.

[5] تفسير نور الثقلين: ج5/ص 481.

[6] سورة النساء، آية: 96.

[7] بين هذا الأمر في عدة آيات من القرآن بلحن مليء بالمعاني وبمناسبات شتى من بينها: سورة الشعراء، الآيات 102.91، سورة ص، الآيات: 58. 61، سورة إبراهيم، الآيات: 12. 22، سورة غافر، الآيات: 48.47.

[8] قيل باستحباب التلفظ بهذه الجملة عند الفراغ من سورة الفاتحة.

### سورة التوحيد

بعد إتمام هذه المناجاة المربية المليئة بالمحتوى، على المصلي أن يتلو سورة كاملة من القرآن. هذه التلاوة جزء من القرآن ينتخبه المصلي بحريته وإرادته، يفتح بوجهه فصلاً آخر من المعارف الإلهية الإسلامية.

فريضة تلاوة القرآن في الصلاة. كما قال الإمام علي بن موسى الرضا(ع) في حديث الفضل بن شاذان: «إنما أمر الناس بالقراءة في الصلاة لتلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً ويكون مدروساً ولا يضمحل ولا يجهل».

نكتفي هنا بالإشارة إلى سورة التوحيد المتعارف تلاوتها في الصلوات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ

أَيُّهَا الرُّسُولُ قُلْ وَاعْتَقِدْ وَبَلِّغِ الْآخِرِينَ بِهِذِهِ الْحَقِيقَةُ

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

فليس له شريك ولا مثيل ولا ند كالذي تعرفه عقائد الأديان المنحرفة.

ليست ساحة الخليفة مسرحاً لتنازل الآلهة وحربهم، بل إن جميع سنن العالم وقوانينه صادرة عن إرادة واحدة وقدرة واحدة. لذا يسود عالم الحقيقة النظام والانسجام فجميع القوانين والتحويلات والتحركات

الطبيعية في العالم تتحرك اتجاه واحد. الإنسان وحده الذي مَتَّعَهُ اللهُ بالإرادة والاختيار والقدرة على التصميم . يمكنه أن يتمرد على هذا النظام ويعزف لحناً شاذاً مخالفاً للعزف الجماعي، كما يمكنه أيضاً أن يصنع لنفسه حياة تنسجم مع قوانين الوجود.

اللَّهُ الصَّمَدُ

ليس الله بحاجة إلى شيء أو أحد، فأنا أتواضع أمامه وأعظمه وأحمده ليس كباقي الأرباب المحتاجة في إيجادها واستمرارها في الحياة، وقدرتها إلى رعاية غيرها . فإن إلهاً كهذا لا يستحق التكريم والتعظيم من قبل الإنسان، إذ أنه موجود كالإنسان أو أدنى منه، الإنسان هذا الموجود العظيم والعميق لا ينبغي أن يعظم سوى قدرة ليست محتاجة أدنى احتياج إلى أي وجود وأي عنصر آخر، لأن وجودها وقدرتها وخلودها نابع من ذاتها.

لَمْ يَلِدْ

إنه ليس كما ذكرته الأديان الخرافية والمنحرفة والعقائد المشركة، ليس إله المسيحيين والمشركين الذين تصوروا له ولداً أو أولاداً، إنه خالق كل شيء وكل شخص، لا أنه أبوهم بل كل سكان السموات والأرض هم عباده لا أولاده».

إن نسبة الربوبية والعبودية بين الله والإنسان هي التي تمنع عباد الله الواقعيين من عبادة أي شيء أو أحد غير الله، إذ أن عبادة إلهين ممكنة.

إن الذين جعلوا الله أباً عطوفاً للخلائق، وأن البشر هم أولاده لم تتضح لهم حقيقة عبودية الإنسان لله، وأنها مقام تكريم لهذا الإنسان. وهم في الحقيقة قد فتحوا طريقاً لعبادة غير الله، وأصبحوا عملياً عبيداً للكثير من أرباب الدنيا ممن نزعت منهم المروة، وصاروا آله بيد النحاسيين من باعة الرقيق.

وَلَمْ يُولَدْ

فهو ليس حادثاً بمعنى أنه لم يكن في الوقت، ثم جاء إلى ساحة الوجود. وليس هو وليد أحد أو فكرة أو اعتقاد. وليس وليد نظام أو طبقة أو شكل من أشكال حياة البشر. إنه أكرم الحقائق وأسمائها، إنه حقيقة أزلية، كان منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

ليس له مثيل ولا يمكن أن يشبهه شيء، لا يمكن تقسيم مناطق نفوذه ومناطق حكمه (وهي عالم الكون بأجمعه) بينه وبين شخص آخر، ولا يمكن أن يكون جزء من حياة الإنسان له والآخر لغيره، من الأرباب الأحياء وغير الأحياء، ومن مدعي القدرة والألوهية.

هذه السورة من جهة تعرّف المسلمين وجميع العالمين على الإله الذي يستحق العبادة والتمجيد بنظر الإسلام.

وإن الإله الذي لا يكون هو الأوحده، بل له مئات والآف المشاكليين في العالم، ليس جديراً بالربوبية والألوهية. إن القدرة المحتاجة لاستمرارها إلى موجود آخر لا يمكن ولا ينبغي أن تفرض على البشر. إن الذي يعظم وينحني للأرباب الواهية المحتاجة والمحدثة والزائلة يسحق كرامته الإنسانية، ويسقط نفسه والإنسانية، هذه هي الجهة الإيجابية في سورة التوحيد التي تستعرض مميزات المعبود ورب الإنسان، وتثبت بطلان الأرباب على طول التاريخ.

ومن جهة أخرى، تحذر عباد الله والمسلمين من تدنيس أنفسهم بالنظر العقلي الذي يولّد الشبهات والوساوس بشأن ذات الله وصفاته، وأن يذكروا الله ويدعوه بكلام بسيط. فيدل أن يستغرق الإنسان في التفلسف والذهنيات، عليه أن يفكر في الالتزامات النابعة من عقيدة التوحيد.؟

وكم جاء في حديث الإمام علي بن الحسين×: «إن الله عزّ وجلّ علم أنّه لا يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فمن رام وراء ذلك فقد هلك» [1].

كأنما تقول هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ للمصلي: إن الله قدرة فريدة وعالية، وهو مستغن ذاتاً وغير محتاج ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وليس له مشابه ومشاكل... هذا وكفى، والعلم والرؤية والحكمة وباقي صفات الله تعالى التي يكون فهم المسلم لها واجباً، والتي تكون مؤثرة في حياته وعروج روحه، ذكرت أيضاً في آيات أخرى من القرآن، فلا تتعمق أكثر من هذا في ذات الله وكيفية صفاته.

إنك ستحصل على معرفة أكثر خلال العمل، لا تتصور أنك ستحصل على معرفة أكثر بالبحث والتنقيب الذهني العميق، بل حاول تحصيل المعرفة عن طريق التحلي بالصفاء وروحانية الباطن والروح، عن طريق

العمل بمستلزمات التوحيد، وهكذا كان الأنبياء والصدّيقين، إنهم عباد الله الحقيقيون، والموحدون والصادقون والعارفون.

[1] نور الثقلين: ج5 نقلاً عن أصول الكافي.

### التسيّحات الأربع

قبل أن ندخل في بيان الذكر في الركوع والسجود، نوضح الجمل التي يرددها المصلي في الركعتين الثالثة والرابعة قائماً، هذه الجمل هي أربعة أذكار تنطق بأربعة حقائق عن الله تعالى: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

لمعرفة هذه الخصوصيات الأربع تأثير عميق في تكوين فهم صحيح وكامل عن التوحيد، إذ أن كلّ واحد من هذه الأذكار يعدّ مثلاً لعقيدة التوحيد.

تكرار هذه الجمل ليس من أجل زيادة المعلومات الذهنية للإنسان وإطلاعه فقط، بل إن من أعظم فوائد العلم بصفات الله وخصوصياته وتكرار ذكرها هو أنها تبعث في الإنسان الحركة والمسؤولية، ويجعله مكلفاً تجاه تلك الحقيقة التي أدركها.

بشكل عام يجب أن تكون العقائد الإسلامية منشأ للعمل والحركة، إذ أن هذه العقائد لا تستمد أهميتها واعتبارها من جنبتها الذهنية والتجريدية، بل إن أغلب ذلك مستعد من جهة كونها ناظرة إلى حياة الإنسان وسلوك الفرد والمجتمع. صحيح أن كلّ عقيدة إسلامية معناها معرفة حقيقة معيّنة، ولكن إنما يجب الاعتقاد بها، فيها إذا استلزمت تعهداً من الإنسان، ووضعت على عاتقه تكليفاً جديداً.

والاعتقاد بوجود الله من هذا القبيل. فإن كلاً من الاعتقاد بوجود الله وعدم وجوده يشكل نمطاً وشكلاً خاصاً في الحياة والعمل. إن الفرد والمجتمع الذي يعتقد حقاً بوجود الله يحيا نمطاً وشكلاً خاصاً في الحياة، وأما الفرد والمجتمع المنكر لهذه الحقيقة فإنه يعيش بشكل آخر.

إن اعتقد الإنسان أنه والعالم مخلوق من قبل قدرة الله وعن إرادة شاعرة وحكيمة فسيؤدي به هذا الاعتقاد إلى اعتقاد آخر وهو أن هذا الخلق كان لهدف ولغاية، ويوقن بان له أثراً ومسؤولية لبلوغ هذه

الغاية. وهذا الإحساس بالمسؤولية هو الذي يدعو إلى العمل والجد وتحمل ثقل المسؤولية، ويشعر تجاه ذلك كلّ بالرضا ويتقبله عن طيب نفس.

وهكذا الاعتقاد بالمعاد والنبوة والإمامة و... كلّها تلقي مسؤوليات وتكاليف على عاتق المعتقد، وتشخيص له بأجمعها منهج سيرة وحياته.

وإن شوهده في الواقع الخارجي من يرون أنفسهم معتقدون بهذه الأصول الفكرية وأنهم متساوون مع أولئك الذين ليس لديهم أدنى اطلاع عليها، ولا يعتقدون بها، فما هذا إلا بسبب عدم الاطلاع الكامل أو لعدم تجذّر إيمانهم وتسليمهم. وفي المواطن الحساسة وفي منعطفات الحياة يمتاز صف المعتقدين الواقعيين عن المقلدين الجاهلين والمنتزهين للفرص، وبهذه الرؤية نرجع إلى مفاد الأذكار الأربعة ومحتواها.

سبحان الله

إن الله منزّه عن أن يكون له شريك، ومنزّه عن الظلم، وعن أن يكون مخلوقاً، وعن أن يفعل ما هو مناف للحكمة والمصلحة، وعن جميع النواقص والاحتياجات والعيوب الموجودة في الكائنات، وعن جميع الصفات المستلزمة لكونه مخلوقاً أو ممكناً.

بالتلفظ بهذه الجملة وذكر هذه الخصوصية لله يفهم المصلي ويستذكر أنه أمام أي عظيم هو، ولأي ذات حريّة بالتمجيد قام بالخضوع والتعظيم. إنه يشعر أن تعظيمه وتواضعه أمام الإحسان والكمال المطلق. فهل يشعر بالحقارة عندما يحترم الطهارة والإحسان الجمال المطلق؟

إنّ صلاة الإسلام هي التواضع والتعظيم لهذا المحيط اللامتناهي للإحسان والكمال والجمال. إنها ليست خضوعاً يذل الإنسان ويقلل من شأنه وكرامته وعزّته الإنسانية، وليست مدحاً يذل الإنسان ويحقّره. أليس الإنسان كائناً مدركاً للجمال باحثاً عنه؟ إذن، فمن الطبيعي جداً أن يسجد للكمال المطلق. وأن يعيد الذات الواجدة له ويمجدها بتمام وجوده. هذا التمجيد وهذه العبودية تسحبه نحو طريق الكمال والإحسان والجمال وتجعل حركة حياته في هذا الاتجاه وهذا المسار.

إن الذين يرون العبادة الإسلامية محققة لإذلال الإنسان، وقاسوها بالتقديس للقدرات المادية، قد أغفلوا نكتة دقيقة وهي: عن الشاء على الإحسان والطهارة هو بحد ذاته أكبر دافع ومحفز نحو الإحسان والطهارة. هذه النقطة هي التي نستذكرها عندما نذكر «سبحان الله».

الحمد لله

إن الإنسان في طول حياته الزاخرة كان دوماً ولأجل الحصول على الفوائد المتنوعة والامتيازات الصغيرة والكبيرة ولأجل البقاء بضعة أيام أخرى على قيد الحياة، وحتى في كثير من الأحيان من أجل الخبز يفتح فمه بالشاء على الذين يساوونه في الحلقة وليس لديهم ما يسمون به عليه، ويضحى بنفسه وماله من أجل أسياده، لأنه كان يراهم مصدر النعمة، فيستجيب ويرضخ لعبودية سيده، عبودية الجسد للروح والفكر.

إن استنكار كون جميع المحامد لله يفهم أن جميع النعم لله. فالحقيقة إذاً إن لا أحد يملك شيئاً ليملكه بهذه الطريقة أو يحق له أن يستغرق أحداً ويجعله مطيعاً وأسيراً به. وهذا ما يعلم الأرواح الضعيفة والقلوب المسحورة والعيون المنخدعة بالنعم أيضاً أن لا تحسب رحمة وعطاء الأرباب والأسياد الضئيل شيئاً، ولا تعده منهم، ولا تسلم قيادها، أو تتحمل الحرمان من أجله، ولتعلم أن المحتكر له غاصب ومعتد.

لا اله إلا الله

هذا هو شعار الإسلام الذي يظهر الرؤية الكونية والأيدولوجية لهذه العقيدة. وفي هذا الشعار نفي وإثبات. ففي البداية ينفي الإنسان كل القدرات الطاغوتية وغير الإلهية ويخلص نفسه من ربة العبودية لكل القوى الشيطانية ويقطع كل يد أو رجل تسحبه بكل شكل من الأشكال نحو طريق ما، ويرفض كل قدرة غير قدرة الله وكل نظام إلا النظام الإلهي، وكل البواعث إلا البواعث التي يرتضيها الله، وبهذا النفي العظيم يتحرر من كل ذل وإنكسار وقيد وأسر وعبودية.

عندما يحكم أمر الله وإرادته التي تتحقق في ظل رباني . يعني أمة إسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة . على وجوده ويتقبل عبودية الله التي ترفض كل العبوديات الأخرى .

عبودية الله تعني صياغة الحياة طبقاً لأوامر الله الحكيمة والعيش في ظل نظام رباني رسمت خطوطه العريضة وفقاً لأوامر الله، والتحرك بجميع القوى والجهود الممكنة لإيجاد هذا النظام وهذه السعادة.

وأما النظم الأخرى التي بنيت على أساس من التفكير البشري، بسبب الجهل وعدم الإطلاع والانحراف الفكري وأحياناً لعدم خلوها من المطامع فإنها ليست قادرة على إسعاد البشر وإيصالهم إلى الكمال الإنساني المطلوب.

فالمجتمع والنظام الإلهي فقط هو يمكنه . لكونه نابعاً من حكمة الله ورحمته، ومنطلقاً من الإحاطة بما يحتاجه الإنسان، وقادراً على تلبية هذه الاحتياجات. أن يكون محيطاً مناسباً لنمو هذا البرعم الذي يسمى بالإنسان.

نحن لسنا أعداءً للنظم الأخرى، بل نحن نشفق عليها، هذا كلام الأنبياء وهم آباء البشر المشفقين عليهم، إنهم يعلمون صانعي ومهندسي البيوت التي يجب أن تسكن فيها الإنسانية، أي هم من يشيدون النظم والمجتمعات. إن البشر لا ولن يمكنه أن يسعد إلا في ظل نظام رباني وتوحيدي. وقد أثبت التاريخ وشاهدنا وسرى ما الذي يتجرعه الإنسان في ظل النظم غير الربانية، وكيف مسخت الإنسانية وبأي يوم عصيب قد ابتليت؟

الله أكبر

وبعد هذا النفي كله يشعر الإنسان العادي الذي ما زال متمسكاً بالحقائق الجاهلية، بالغرابة والوحدة، فهو من جهة يرى عياناً انهيار الأسس التي كانت تبدو حتى وقت قريب راسخة، ومن جهة أخرى توحى له الجاهلية بأنها ما زالت ثابتة كالجبل.

نفس الأشياء التي نفاها تعرض له وجودها محاولة إرغابه في نفس اللحظة التي يقول فيها . الله أكبر . من كل شيء، من كل شخص، من كل القدرات والمقتدرين، ومن أن يوصف، وهو مهندس السنن والقوانين الكونية للعالم سواء في مجال الطبيعة أم في التاريخ، إذن لا يتيسر النصر النهائي المتوقف على التعاطف مع هذه القوانين والسنن إلا بالتمسك بأوامره، فإطاعته وعبادته هي الجبهة الوحيدة المنتصرة في خضم تاريخ البشرية.

وكان محمد(ص) مدركاً لهذه الحقيقة تماماً ويؤمن بها من أعماقه، وكان يلمسها بيده. ولذا ثبت بمفرده بوجه جميع الضالين في مكة، بل بوجه كل العالم، وقاوم بإصرار كما يتوقع من إنسان بارز في حدود قدرته

أن يقاوم، من أجل تخليص قافلة البشر الضالة من التبعية الذليلة للقدرات الطاغوتية وتوجيهها نحو المسار الفطري إلّا وهو مسار التكامل.

إن من يجد نفسه ضعيفاً مسلوب الإرادة أمام القدرات البشرية إذا أدرك أن أعلى القدرات وأكبرها هو الله تعالى فسوف يطمئن قلبه، ويهدأ وتتوهج في باطنه قوة فريدة تجعل منه الأفضل والأقوى. هذه كانت خلاصة محتوى ومفاد الجمل الأربع التي تتكرر في الركعتين الثالثة والرابعة حال القيام.

## حركات الصلاة وأذكارها

### الركوع

بعد إتمام القراءة يدخل المصلي في الركوع، أي ينحني أمام الله، القوة الكامنة وراء ذروة التفكير الإنساني في آفاق الخصال الحميدة والعظيمة.

الركوع مثال لخضوع الإنسان أمام القدرة التي يعتقد أنها أقوى منه، ولأن المسلم يرى أن الله فوق كل القدرات فهو يركع أمامه، ولأنه لا يرى أي موجود غير الله أعلى وأفضل من إنسانيته فهو لا ينحني لأي شيء أو شخص آخر.

وفي هذه الحال يظهر أمام الله بمظهر الخضوع ولسانه يلهج بحمد الله وبيان عظمته.

سبحان ربي العظيم وبحمده [1]

إن هذه الحركة التي تؤدي بشكل منسجم مع ما يلهج به، تظهر للمصلي وللمن يراه على هذه الحال العبودية لله. وبما أن من يعبد الله لا يكون عبداً لغير الله فهي تعلن له بصراحة حرته من عبودية غير الله.

### السجود

عند رفع الرأس من الركوع وفي حين التهيؤ لتواضع وخضوع أكثر يهوي إلى الأرض ويضع جبهته عليها. إن وضع الجبهة على الأرض علامة لأعلى مستوى لخضوع الإنسان، وإن المصلي يرى هذا الحد من نصاب الخضوع يناسب الله، إذ أن الخضوع لله هو خضوع لكل ما هو حسن وللجمال المطلق. ويرى ذلك حراماً



وغير جائز بالنسبة لغير الله. إذ أن جوهر الإنسان وهو أئمن بضاعة في متجر الوجود يتحطم بهذه العملية ويغدو الإنسان ذليلاً ومنكسراً. وبينما هو واضع رأسه على الأرض، غارق في عظمة الله، يبرز اللسان قائلاً باتساق تام ما يفسر في الحقيقة عمله ويشرحه.

سبحان ربي الأعلى وبحمده [2]

الله الأعلى، الله المنزه والمطهر، وأمام هذه القوة فقط ينبغي للإنسان أن يلهج بالثناء ويضع جبهته على التراب.

فإذن . سجدة الصلاة . ليست انحناة أمام موجود ناقص وضعيف لا قيمة له كالهوى أما الأصنام والقدرات الخاوية، بل هو هوي أمام الأعلى والأطهر والأعز.

إن المصلي بهذه الحركة يعلن بشكل عملي انصياعه لله الحكيم البصير، وقبل كل شيء يلحق نفسه هذا التسليم والانقياد. إن قبول هذه العبودية المطلقة لله . كما أسلفنا . هو الذي يرفع عن الإنسان قيود عبادة كل شيء وشخص، ويخلصه من الأسر والذلة التي هو فيها.

إن أهم أثر يرتجى من هذين الذكرين (ذكر الركوع والسجود) هو تعليم المصلي أمام أي شيء يجب أن يخضع وينشئ. وهذا معناه نفي كل ما عدا الله، وربما يشير إلى هذا الأمر الحديث المنقول عن الإمام X: «أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد» [3].

التشهد

في الركعة الثانية وفي الركعة الأخيرة لكل صلاة بعد أن يرفع المصلي رأسه من السجدين يتلفظ بثلاث جمل تبين كل واحدة منها حقائق من الدين، وتسمى هذه العملية المقترنة بالألفاظ (التشهد).

حيث يشهد في الجملة الأولى بتوحيد رب العالمين: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم يؤكد هذه الحقيقة بهذا النحو: وحده، ثم يؤكد بنحو آخر: لا شريك له.

كل ما يجر الإنسان إلى عبادته ويصيره مطيعاً له فهو إله. الهوس والميول الحيوانية، أو الشهوات والآمال الإنسانية، أو النظم والمقررات الجماعية وواضعوها وزعمائها. كل واحدة منها تدعو الإنسان بشكل من الأشكال إلى عبوديتها وتأليها [4] وإن ذكر لا إله إلا الله هو نفي لكل هذه الربوبيات.

والتشهد شهادة من المصلي على هذا النفي، أي أن المصلي يتقبل فقط أن الله وحده هو الذي له حق الإمرة والألوهية عليه، وأن جميع ما عداه ليس له أي حاكمية عليه.

وعندما يعتقد الإنسان بهذا الشيء فسوف لا يحق له هو أيضاً أن يعبد كائناً آخر من قبيل البشر أو الحيوانات أو الملائكة أو الجماد أو الهوى والشهوات النفسانية.

وليس معنى ذلك أن الموحد لا يخضع لأي التزام في المجتمع، ولا يحكم أي قانون، إذ من الواضح أن الحياة الاجتماعية بحسب ماهيتها لا بد لها من الالتزام والانقياد. بل بمعنى أنه لا يقبل أي تحكم ونظام لا يستمد من أوامر الله، وهو في حياته الاجتماعية يصغي لأمر الله، وما أكثر ما يقتضي الشكل والنمط الذي يريده الله من أجل إدارة حياة البشر أن يطيع أشخاصاً ويلتزم بتعهدات. فإذا الامتثال والتعهد بحسب المتطلبات الذاتية للحياة الاجتماعية لا يمكن انفكاكه عن حياة الإنسان الموحد أيضاً. ولكن ليس هذا الامتثال من البشر، بل هو امتثال لأمر الله البصير الحكيم، إذ أنه هو الذين يعين المقررات التي يجب إجراؤها، والقادة الذين تجب إطاعتهم، وأنهم يحكمون البشر في حدود الأوامر الربانية فقط.

إن هذا الأمر الرباني ناظر إلى هذه الحقيقة [5] ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [6].

وربما من أجل ملاحظة هذا المعنى وبتبعه يقول المصلي في الجملة الثانية من التشهد: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

إن قبول محمد(ص) مرسلاً من قبل الله هو في الحقيقة قبول للاستخلاف الإلهي، أي اتباع طريق الله عن طريق اتباع طريق محمد، وأخذ أوامره من عبده المجتبي.

كثير من عباد الله أخطأوا في معرفة الطريق الذي يرضي الله. إن معرفة محمد | وقبول كونه رسول الله، محدد وموجه للجهد والحركة التي ينبغي للإنسان العابد إبرازها، لكي يثبت صحة دعواه في عبادة الله.

في هذه الجملة، بالاستناد إلى عبودية محمد | واستخدام كلمة (عبده) قبل (رسوله) كأنما أريد التعريف بأهم فضيلة في الإسلام، وحقاً إن الأمر كذلك، فإن جميع الفضائل الإنسانية تتلخص في عبادة الله الحقيقية والإخلاص لله، وكل من حاز في هذا المضمار على سهم أوفر، فستكون كفته الإنسانية أثقل ميزاناً من الجميع.

لا حاجة للاستدلال على هذا المعنى بالنسبة إلى الشخص العارف لمفهوم (عبادة الله). فإن كل معنى عبادة الله هو الخضوع أمام الحكمة والبصيرة والرحمة والإحسان والجمال اللامتناهي، والملازم للتحرر من عبادة النفس وعبودية الغير، فأَيّ قيمة أسمى من هذه يمكن العثور عليها؟ أوليست جميع المساوي والانحطاط والشقاوة والأمور المذلة وانعدام المروءة، وبشكل مختصر، جميع ما هو مظلم؛ وليد عبودية الإنسان لجموح النفس أو جموح وطغيان المدّعين من البشر؟ أوليست عبادة الله تحرق جذور كل عبودية أخرى وتحطمها؟

إن النقطة الدقيقة الموجودة في هاتين الجملتين من التشهد في التذكير بالتوحيد والنبوة ضمن شهادة من قبل المصلي بوحداية الله وبرسالة محمد(ص) وعبوديته.

هذه الشهادة في الحقيقة عبارة عن قبوله بجميع الالتزامات المترتبة على هاتين العقيدتين؛ وكأنما المصلي بهاتين الشهادتين يريد أن يقول: إني أعتنق جميع التكاليف التي تنشأ من قبل هاتين العقيدتين (التوحيد والنبوة)، ولا قيمة في الإسلام للعلم التافه الفارغ الذي لا يستتبع تعهداً، ولا للاعتقاد الذي لا يكون منتجاً. إن الشهادة على حقيقة بمنزلة الوقوف عليها وقبول جميع التعهدات والأعمال الناتجة عن العلم بها، القبول الناشئ من اعتقاد خالص وإيمان فعال وإيجابي. فإذا تشهد الصلاة في الحقيقة تجديد بيعة من المصلي مع الله ورسوله.

الجملة الثانية من التشهد هي طلب ودعاء، الله صلّ على محمد وآل محمد. إنَّ محمداً(ص) وآله الطاهرين هم العلامات البارزة لهذه العقيدة وإن المصلي يذكر هؤلاء العظام بلسان الدعاء وبالصلاة عليهم ليعزز ارتباطه الروحي بهم.

إن اتباع كل رسالة إن لم يجعلوا نصب أعينهم قادة تلك المذهب الحقيقيين فمن المحتمل جداً أن يضلوا الطريق، وإنّ إراءة العلامات العينية هي التي عززت ثبات عقيدة الأنبياء على مرّ الزمان.

يذكر التاريخ كثيراً من المفكرين الذين ابتكروا خططاً ومناهج لتأمين حياة أفضل توفر للإنسان سعادته، ورسّموا المدن الفاضلة وخلفوا كتباً ومآثر لهم، ولكن الأنبياء بدل أن يدخلوا في بحوث فلسفية جسّدوا أطروحاتهم عملياً، وصنعوا من أنفسهم وأوائل المعتقدين بهم نماذج تحتذي، وبنوا على عواتقهم النظام المطلوب.

ولهذا بقي مذهب الأنبياء حيّاً ولم يبق لمخططات الفلاسفة والمفكرين سوى الحبر على الورق.

إن المصلي يدعو من أعماق قلبه لمحمد وآله(ص)، وهم خلاصة تبلورات هذه العقيدة، يدعو للذين أفنوا عمرهم وعاشوا مجسدين لهذه العقيدة، وأظهروا للتاريخ إنساناً من الطراز الإسلامي، ويطلب من الله أن يصلي عليهم ويرحمهم، ويعمق ويوثق الاتصال الروحي بينه وبينهم، إذ بإمكانهم كجاذبة قوية جذبه نحو طريقهم والهدف الذي كانوا ينشدونه.

إن الصلاة على محمد وآل محمد هي المجسدة للأشخاص المخلصين، والنخبة المسلمة. وتتجسدها هذه الوجوه، وجعلها نصب الأعين، يتمكن المسلم دوماً من معرفة الطريق الذي يجب عليه قطعه وبالتالي يتهيأ لسلوكه.

### سلام الصلاة

إن هذا السلام يشتمل على ثلاث تحيات [7]، مع ذكر الله وذكر اسمه، فإذا بدأ الصلاة باسم الله وتختتم باسمه. وبين تلك البداية وهذه النهاية طريق حافل بذكر الله، إن ذكر النبي أو آله في جملة سيكون أيضاً مصحوباً بذكر الله، بصورة استمداد من لطفه ورحمته.

الجملة الأولى تحية من المصلي للرسول(ص) وطلب الرحمة من الله لذلك العبد المجتبي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

الرسول(ص)، هو مؤسس الإسلام، أي رأس الحركة والجهود التي يستعد المصلي الآن للعمل فيها بنفسه. هو الذي صرح بهتاف التوحيد، الذي أظهر زخرف الدنيا وأسس الحياة الأفضل للإنسان إلى الأبد. هو الذي رسم الخطوط العريضة لأنموذج الإنسان الإسلامي وللأمة التي يمكنها أن تكون معهداً لهذا الإنسان. إن المصلي يعكس هذا الشعار في صلاته وتعاليمها الضمنية في حياته وفضاء زمانهن ويخطو خطوة خطوة نحو ذلك المجتمع الأفضل وتكوين ذلك الإنسان النموذجي. فإذا ليس اعتباراً ذكر رسوله وهاديه. الذي جعله مرشده في هذا الطريق. في نهاية الصلاة بتحية، فهذا اللسان يعلن عن حضوره إلى جانبه وفي طريقه.

في الجملة الثانية يسلم المصلي على نفسه وعلى جميع سالكي مسلكه والعباد الصالحين، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وبذلك يحيي ذكر عباد الله الصالحين في ذهنه ويجعل وجودهم وحضورهم مادة تبعث الاطمئنان في نفسه.

في الدنيا التي انتشرت فيها مظاهر العصيان والقبائح والدنئات والعداوة والظلم والقذارة والرجس، وأحاطت بكل شخص، في محيط يتراءى فيه للإنسان العاقل أن كل شيء ينذر بإفلاس الإنسانية وانهيائها، وان زيارتها في نظره ليست سوى ألوان ليس لها واقع وراء مظاهر الابتذال والترهات، أجل في العالم الذي لا يتمكن فيه مدعو الحق والعدالة أن يتستروا على فضائح الأنانيات وطلب الجاه، وحيث لا يمكن التعقيم على مكانة الحسين وعلي والصادق (عليهم السلام) بالصخب الخادع الذي يطلقه أمثال معاوية ويزيد والمنصور.

وبشكل مختصر، في العصر الذي يستولي فيه أعوان الشيطان على مناصب رجال الله الصالحين، هل يمكن ترجي إحسانهم وصلاتهم والنظر إليهم بعين الواقعية، وينتظر منهم ما ينتظر من رجال الله؟ أهمل يمكننا أن نتوقع شيئاً غير المعاصي والآثام والضلال وإماتة الحق بين البشر؟ علينا أن نعترف بأنه لو أمكن ذلك فإنه لا يمكن بسهولة.

إن الإسلام على عباد الله الصالحين يأتي في هذا الخضم ليعث الدفء والطمأنينة في القلوب الحزينة المضطربة، وكأنه ملاك يخير في قلب الظلم بحضور النور والضياء، ويبشر المصلي بوجود الأنصار والأصحاب، يقول له: لست وحيداً، فإن في قلب هذه الصحراء القاحلة توجد براعم مثمرة ومتأصلة يمكن العثور عليها، كما أنه في طول التاريخ كانت المجامع المنحرفة رحماً لميلاد الإرادات القوية للرجال البارزين الذين كانوا في النهاية هم المخططين لعالم جديد وواضعي حجر الأساس لحياة جديدة. والآن أيضاً وطبقاً لسنة الله في التاريخ، فإن قوى النور تلك هي التي تخلق الإحسان في صورة جدّ وسعي في باطن هذه الدنيا المظلمة. أجل إن الصلحاء يعبدون الله بالشكل الذي يناسب عظمتهم ويمثلون أوامره، ويقفون في صف واحد منتظم بوجه الطغاة.

من هم هؤلاء الصالحون؟ وأين هم؟ ألا يجب التعلم منهم والسير إلى جانبهم؟ فعندما يجعل المصلي نفسه في عدادهم، ويسلم عليهم وعلى نفسه في جملة واحدة (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) يستطع على قلبه نور من العزة والافتخار والاطمئنان، ويسعى لأن يكون حقاً في عدادهم، ويشعر بالخجل، إذا لم يستطع أن يسير إلى جانبهم، وهذا يملي عليه تعهداً وتكليفاً جديداً.

كيف هم العباد الصالحون؟ والصلاح في ماذا؟ فليس الصلاح فقط في الصلاة، الصلاح في أن يتمكن الإنسان من تحمل التكاليف الإلهية الثقيلة، ويعمل بالشكل الذي يكون فيه إطلاق (عبد الله) عليه مناسباً أو منسجماً، تماماًً مثل الطالب الممتاز في صفه.

وفي الختام يقول المصلي في الجملة الثالثة مخاطباً هؤلاء العباد الصالحين، أو مخاطباً الملائكة [8]، أو مخاطباً المصلين: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبذلك يستذكر مرة أخرى الصلاح والاستحقاق للصفات الملائكية أو الاتصال بباقي المصلين، فيذكر المخاطبين الأعزاء بدعاء الخير وينهي صلاته.

والحمد لله رب العالمين

[1] وبالإمكان أيضاً استبدال هذا الذكر بقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله.

[2] بالإمكان أيضاً أن تقول ثلاثاً: سبحان الله.

[3] سفينة البحار (ج1) مادة سجد.

[4] يلتفت إلى آيات من قبيل ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ سورة الجاثية/ الآية (23) و ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ و ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ سورة التوبة/ الآية (31) و ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ سورة القصص/ الآية (38)، وروايات من قبيل «ألتهم بطونهم».

[5] التدقيق في هذه الآيات والروايات من قبيل ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ سورة النساء/ الآية (80) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة/ آية (55).

(وانظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر...) و (العلماء أمناء الرسل على خلقه...) يمكن أن يكون موضحاً للحدود التقريبية لهذه الحقيقة.

[6] سورة النساء/ الآية (59)

[7] يمكن أن يقتصر على الثالثة فقط إذ أن الأولين مستحبتان.

[8] وكأنه بعنوان درس لتحصيل صفات الملائكة.

بيانات القائد حول الصلاة

## خصائص الصلاة [1]

منذ بضع سنين ومثل هذه الأيام تعدّ موسم الصلاة في بلدنا، أي أن أرجاء البلد تكون معطرة فيه بذكر واسم الصلاة، وأصحاب البصيرة والإيمان يتحدّثون بلهفة ونشاط حول الصلاة، ويدعون لها ويجاهدون لإقامتها في كلّ مكان.

وإنه لسعي مبارك ينبغي لكل من يرغب في حياة إسلامية طيبة وعيش تحت ظل الحق والعدل أن يباركه ويعين عليه استمراره.

إن إقامة الصلاة من أوجب الفرائض في بلد رفع راية الإسلام خفاقة ويفخر بحكومة الإسلام؛ لأن كلّ أهداف المجتمع السعيد من قبيل: تحقيق العدالة الاجتماعية، وبلوغ الرفاهية العامة والازدهار المادي، وتنمية القابليات والإبداعات لدى أفراد الشعب، والتمتع بالعلم والمعرفة والخبرة، والاستقلال والاقتدار الوطني، وإشاعة الأخلاق الإنسانية والعلاقات السليمة بين أفراد الشعب، وسائر الأهداف السامية إنما تتحقق تحت ظل التربية الذاتية والتهديب الأخلاقي لدى أفراد الشعب ولا سيما المسؤولين عن شؤون البلاد. وبوجود أناس أطهار في ذلك المجتمع يتمتعون بالعزيمة والتوكل والإخلاص والصبر والسعي الحثيث فإنهم سيتمكنون وبمعونة هذا الرصيد الروحي من تحمّل الأعباء الثقيلة والوقوف بوجه العقبات المختلفة ولا سيما أمواج الفساد والدمار. وكلّما ازداد عدد هؤلاء في مجتمع ما وبلد معين، اتسعت آفاق مستقبل ذلك المجتمع وذلك البلد، وازدادت إمكانيّة وسهولة الوصول إلى السعادة فيهما.

ومما ذكرنا تتضح أهمية الصلاة وأحد أسرار الدعوة إلى المواظبة عليها في التعاليم الإسلامية، لأن الصلاة أفضل وسيلة لبلوغ أفراد المجتمع المسلم التهديب الأخلاقي والسمو الروحي والمعنوي.

إن للصلاة ثلاث خصائص بهيتها المحددة في الإسلام . أي الحركات والأذكار المخصوصة تدعو المصلي . بصورة طبيعية، إلى الابتعاد عن الذنب والرذيلة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، هذه الدعوة المستمرة لها القدرة على إنقاذ أي كان من المستنقعات وأن تسمو به.

الثانية: الصلاة تحيي في المصلي روح العبودية والخضوع أمام ساحة الباري تعالى المحبوب الحقيقي والفظري لكل إنسان، وتزيل عن هذه الحقيقة الساطعة المودعة في أعماق فطرته غيار النسيان.

الثالثة: تزرع في قلب وروح المصلي تلك السكينة وذلك الاطمئنان اللذين يعتبران الشرطين الأساسيين للنجاح في جميع ميادين الحياة، وتبعد عنه التزلزل والاضطراب اللذين يعتبران مانعاً كبيراً في طريق السعي الجاد في التربية الأخلاقية.

وكل واحدة من هذه الخصائص الثلاثة جدير بالتدبير والإمعان، لتتضح من خلاله الكثير من معارف الصلاة.

وعندما نرى الصلاة بهذه الخصائص وبتأثيرها الاستثنائي، وسعة دائرتها حيث إنها تشمل كل المجتمع الإسلامي . أي يجب على الجميع أداء الصلاة تحت أي ظرف وفي أي مكان كانوا، ولم يخرج أحد عن دائرة هذه الفريضة الإلهية أبداً؛ فحينها ندرك مدى تأثيرها البالغ في تحقيق السعادة لشعب ومجتمع ما.

والحقيقة انه متى ما شاعت الصلاة بكل شروطها بين فئة من الناس، فإنّ هذا الواجب الإلهي بعينه سيرفعهم تدريجياً نحو كل أشكال السعادة وإقامة صرح الدين في حياتهم.

ولا يفوتنا القول إنّ كل هذه تتعلق بتلك الصلاة التي تقام بروحها أي مع الإنابة وحضور القلب، فمثل هذه الصلاة تجعل المصلي متناغماً ومتماشياً مع عالم الخلق كله، وتفتح السبيل أمام تطبيق السنن الإلهية في الطبيعة والتأريخ: لأن عالم الخلق كله . وفي الرؤية الإسلامية . في حالة تسييح وعبودية للحق تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

وصيتي الأكيدة للجميع ولا سيما الشباب هي الأُنس بالصلاة والالتذاذ بها، أي أن يقيموا الصلاة مع فهم لمعانيتها وشعور بالحضور لدى حضرة الرب المتعال جلّت عظمته، وان يسهّلوا بالممارسة هذا العمل على أنفسهم؛ ليتمكنوا من الإتيان بالنوافل لا سيما نافلتني الصبح والمغرب أيضاً. وإن كان بين الأرحام والأقرباء والأصدقاء من حرم نفسه من فيض الصلاة ، فليردعوه عن ارتكاب هذا الذنب الكبير والخسارة العظمى، وليكون بالحكمة والموعظة الحسنة. طبعاً على الآباء والأمهات مسؤولية أكبر تجاه أبنائهم لا سيما الأحداث.



إنني قدمت في كلمتي إلى ملتقيات الصلاة في السنين الماضية توصيات إلى مسؤولي الدوائر المختلفة بخصوص الصلاة . فمن المناسب تشكيل هيئة من هذه الملتقى لمتابعة تلك التوصيات وإعداد تقرير بكيفية ومدى تحقيق تلك المطالب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأخيراً مع دعائنا للأعزة القائمين على مسألة الصلاة، نرجو من الله قبول مساعيهم وأن تكون بعين ولي الله الأعظم «أرواحنا فداه وسلام الله عليه».

## الصلاة المظهر الكامل للعبادة [2]

الحمد لله الذي جعل الأفتدة النيرة الطاهرة ترنو إلى الصلاة وإلى إشاعتها وإقامتها، وبثَّ فيها لهفة المجاهدة والسعي الحثيث في هذا السبيل.

لقد تلخّصت ثمرة مساعيكم الحكيمة خلال هذه السنوات بأن أصبح للصلاة . وهي المظهر الكامل للعبادة والمناجاة والدعاء والمحبة والإيمان بالمحبوب الفطري لعالم الوجود . إشعاع أكثر إشراقاً، وحضور أكثر جلاءً في ذهن وسلوك مجتمعنا الإسلامي.

والحمد لله فقد أضحت الصلاة اليوم في الكثير من الأماكن التي يجتمع فيها الناس ولا سيما مراكز تجمع الشباب كالمدارس، والجامعات، والمعسكرات، والمنتزهات، والجامعات الحكومية، والطرق وغيرها، ظاهر مشهودة وبارزة تقرّ بها العيون والأفتدة. وتعرض في وسائل الإعلام وفي الكتب والدروس والبرامج الفنيّة والإعلامية الكثير من الكتابات والكلمات بشأن الصلاة مما يجعل أذهان وقلوب الكثير من الناس تهفو إلى هذا التكليف العذب اللطيف ويحدوها الشوق إلى إقامتها.

لا ينبغي الشك في أن هذا هو طريق النجاح والتوفيق في جميع المهام الفردية والاجتماعية، وهو الطريق نحو السعادة والفلاح ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

ما أكثر الأفراد والجماعات الذين بلغوا قمم التسامي والكمال بمعرفتهم لأهمية ومكانة الذكر والخشوع والإنابة . التي تعدّ الصلاة مظهرها الكانل . وإرفاقها بالعمل والإبداع الدنيوي. وما أكثر السذج وقصيري النظر الذين حرموا أنفسهم من السعادة الكامنة بالغفلة عن هذا السرّ العظيم في الوجود سواء من خلال

الانغماس في العمل المادي أو في أوقات الفراغ والكسل، وأينما حلّوا هووا بأنفسهم في مستنقع الحرمان والإخفاق بشك أو بآخر.

فالناس الذين جعلوا مساعيهم وجهودهم في ميدان الحياة الإنسانية مشفوعة بذكر الله، والأنس به، وحبّه يدركون المعنى الحقيقي للسعادة: وتناولها أجسادهم وأرواحهم.

أنتم أيها الأخوة والأخوات الذين عقدتم العزم على الاهتمام بأمر الصلاة، إنما تؤدّون في هذا الطريق أكبر خدمة لشعبكم وبلدكم، ولا شك أن شعبنا سيحني من جرّاء معرفته للصلاة والعمل بها فوائد كبرى في جميع مجالات حياته.

لقد قدّم لي المسؤولون المحترمون عن إقامة الصلاة تقريراً يبعث على الأمل بشأن تنفيذ الوصايا السابقة بخصوص الصلاة. وأني بعد تقديم الشكر لكم ولجميع القطاعات التي أنزلت تلك الوصايا إلى حيز التنفيذ، أوصي جميع المتصدّين لهذه المهمة وسائر المدراء المسؤولين في البلاد بما يلي:

1. بذل الجهود الشاملة والمتواصلة لأجل تبيان عمق الصلاة وكشف أسرارها وأبعادها الجمالية، وإدخال الأقوال البديعة الثرة ذات المغزى والمضامين الجديدة في هذا المضمّار في كتب المعارف في الجامعات، والكتب الدراسية لمراحل ما قبل الجامعات والكراسات الصغيرة المبسّطة.

2. نشر الأحكام الفقهية للصلاة بشكل سهل وميسّر، وإعداد الكراسات والأشرطة الصوتية والمرئية المناسبة لإرسالها إلى الشعوب الأخرى.

3. بثّ الأذان المنبعث من حناجر ذات صوت شجي في كلّ مكان، وأن لا يبقى حي أو مدينة محرومة من سماع نغمة الأذان.

4. إزالة الغبار عن المساجد بشكل مناسب، وأن تعتبر خدمة المسجد عملاً ذات صفة عامة وشعبية.

5. إقامة صلاة الصبح في المساجد.

6. أن يشارك العقلاء وأهل المعرفة في لجان إقامة صلاة الجمعة، لمساهمة في إقامتها بشكل أفضل.

7. أن يتصدى مدراء الأجهزة الإدارية والحكومية بأنفسهم لإقامة الصلاة في دوائريهم.

8. أن يأخذ تعليم الصلاة في المعسكرات والعمل بها طابعاً أكثر جدية مما عليه حالياً.

9. بناء المساجد بالقدر الكافي على الطرق البرية، وأن يكون هناك مسجد مفتوح ليلاً ونهاراً في المدن الواقعة على الطريق.

10. أن يكون المسجد الجامع أول بناء يشيد في المدن والأحياء التي تنشأ حديثاً، ويكون المركز الحقيقي لتلك المدينة أو الحي.

11. أن تقام الصلاة عند حلول وقتها في كلّ الاجتماعات، أما الاجتماعات التي تتعدّر فيها إقامة الصلاة بسبب كثرة الناس أو لأي سبب آخر، فلا بدّ أن ينظم وقتها بالشكل الذي لا يتعارض مع وقت الصلاة.

12. وبإيجاز: اجعلوا وضع مدن وقرى البلاد بصورة يشعر كلّ من يدخلها بأجواء الاهتمام بالصلاة، وموضع إقامتها.

أدعوا الله بالموقّية لكم جميعاً.

السيد علي الخامنئي

1375/6/1 (ه.ش)

### الصلاة هبة إلهية [3]

الحمد والثناء لله تعالى على بلوغ جهودكم المباركة . أيها العاملون على نشر فريضة الصلاة . لنتيجتها في انعقاد الندوة الثالثة عن الصلاة وإثمارها لعمل بهذا المستوى كحصيلة لمثابرتكم ومساعدتكم التي لم تعرف الكلل.

إنّ سرّ النجاح في تحقيق الأهداف الكبرى يكمن في هذه المتابعة والاهتمام المتواصل، وهذا درس كبير نتعلمه من مناجاة لمولى المتقين (عليه السلام) يقول فيها: «وهب لي الجد في خشيتك والدوام في الاتصال بخدمتك».

إن الصلاة تمثل أعظم الفرائض . في الميدان الأبدي للبحث عن الحقيقة والذي فرض على الإنسان بل جُبل عليه . وأكثرها تأثيراً، ولعل البعض تعرّف على هذه الخصوصية من خلال الجهد الفردي نحو الكمال فقط ولم يسمع بدورها في ميدان الجهاد الجماعي لمواجهة القوى الدنيوية المناهضة، لذا يجب أن نعرف

أن الرجولة والثبات في المواجهات المختلفة مرتبطة بكون القلوب والإرادات مليئة بالصفاء والتوكل والثقة بالنفس والأمل بحسن العاقبة.

إن الصلاة تمثل النبع الفوار الذي يفيض بكل هذه وفيوضات كثيرة أخرى على قلب وروح المصلي وتصنع منه إنساناً نقياً متفائلاً ثابت الإرادة والعزم.

وما جاء في القرآن بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ووصف على لسان النبي الخاتم | بأنها معراج المؤمن وقربان كلّ تقي، وفي كلمة واحدة أنها عمود الدين ووصفها الرسول بأنها «قرة عيني» يجب أن يحشنا إلى التأمل والتعمق في فهم عظمة الصلاة.

طبعاً، يجدر بنا أن نعلم أن الصلاة لا تعني التفوّه ببعض الكلمات وأداء بعض الحركات، فلا تترتب كلّ هذه الفيوضات والبركات على إيجاد أمواج صوتية وأعمال بدنية دون أن تبعث في هذا البدن روح الذكر والتوجه. فروح الصلاة هي ذكر الله والخشوع والحضور أمامه، وهذه الكلمات والأفعال التي فرضت على المكلف بالتعليم الإلهي أفضل إطار لروحه وأقرب الطرق لوصوله إلى المحل المقصود.

فصلاة بلا ذكر وحضور، كبدن بلا روح، وإطلاق لفظ الصلاة عليها وإن لم يكن على سبيل المجاز لكن لا ينبغي أن يرتجى منها أثر وخاصة الصلاة أيضاً.

وقد ورد الحديث عن هذه الحقيقة في الآثار الدينية بعنوان «قبول الصلاة» وهكذا ورد أنه «ليس لك من صلاتك إلا ما أقبلت عليه»..

إن هذه الصلاة موهبة ليس لها بديل ومنبع فيض لا يزول، نستثمرها لإصلاح أنفسنا أولاً ومن نحبّ ثانياً، وهيب بوابة مفتوحة إلى جنة واسعة يسودها الصفاء، وأنه لمن المؤسف أن يقضي الإنسان عمره بجوار هذه الجنة ولا يحاول أن يزورها أو يدعو أحياءه إليها، فقد أبلغ الوحي النبي العظيم | ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. واليوم اعتبروا هذا الخطاب موجّه إليكم وقدروا أهمية الصلاة الحقيقية المقدسة والدرّ الساطع الذي هو هبة إلهية لأمة محمد | . ولكل منكم سهمه الخاص إزاء هذه الوظيفة.

فعلى الآباء والأمهات هداية الأبناء بالقول والعمل نحو الصلاة.

وعلى المعلمين إرشاد طلاب المدارس والجامعات نحو هذه الحقيقة الساطعة.

وعلى الفضلاء والعلماء وأئمة الجماعة المحترمين في المراكز التعليمية والأقسام الداخلية للطلبة اغتنام الفرصة لتربية الجيل الجديد.

وعلى مؤلفي الكتب الدراسية إدراج إسرار ودروس الصلاة في الكتب الدراسية.

وعلى وزارة الإرشاد ومنظمة الإعلام والإذاعة والتلفزيون استغلال الفن خصوصاً فن السينما لإظهار هذا الدر (الصلاة) وإراءة صورة المصلي.

وعلى الفنانين الأغزاء الخوض بفنونهم في هذا الأمر الجدير وذلك بلسان الشعر والقصة والرسم وما شابهه وبإبداعهم للأثار الفنية الجيدة بل الممتازة.

وعلى المعلمين والمدراء في المدارس والمسؤولين في جميع المراكز الحضور في صفوف الصلاة لتشجيع المصلين عليها، ويجب أداء الصلاة في وقتها في الاجتماعات العلمية والثقافية والتعليمية والتبليغية كمصدر إلهام للصدق والهداية.

وعلى الكتاب وخطباء الإسلام الكتابة والتحدث عن الصلاة وذكر مفهومها وفلسفتها وأهدافها وآثارها وبركاتها وأحكامها.

وعلى الناس إحياء المساجد بحضورهم في صلوات الجماعة التي هي أفضل كيفية لأداء الصلاة، وعليهم بناء المساجد في الأماكن العامة التي يجتمع فيها الناس عادة كالمطارات ومحطات القطار والموانئ ومحطات سيارات النقل العام والدوائر الحكومية والمنتزهات وأمثالها، وعلاوة على كل هذا، على الناس اعتبار كل أرض طاهرة ومناسبة مسجداً عند دخول الوقت والصلاة فيها، وهذه وظيفة كل طبقات الشعب فيجب على الجميع أن يعملوا بدورهم لتعميم هذه الفريضة الجماعية، وفي هذه الحالة يكون مجتمعنا الإسلامي الذي استطاع إقامة الصلاة مصداقاً للآية الكريمة ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ وصدق الله العلي العظيم.

أسأل الله أن يوفق الجميع لأداء هذه الفريضة الإلهية بالصورة الصحيحة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الصلاة عمود الدين

إن أسمى ما يطمح النظام الإسلامي لبلوغه هو تربية الإنسان الفاضل النبيل، وبناء الفرد والمجتمع على صعيدي الجسم والروح، وفي كلا الجانبين المادي والمعنوي، وفتح كلا جناحي رفعة الإنسان وتعالیه.

ومن هنا تكتسب العبادات وعلى رأسها الصلاة أهميتها، وتسمى (الصلاة) عمود الدين. فالصلاة حينما تؤدى بانتباه وبحضور قلب لا يقتصر تأثيرها على ما تغرسه في قلب المصلي وروحه، وإنما يتسع مداها ليملاً الأجواء المحيطة به نوراً وشذىً يسري أريجها إلى رحاب البيت والأسرة وإلى محل العمل ومحفل الأصدقاء، وإلى كل ربوع مدينة بل وكل آفاق الحياة.

كلما ازداد المصلي ذكراً وخشوعاً، تتبدد من حوله الظلمات وتزول الأنانية، وتنتهي الأحقاد، ويضمحل الاستبداد، ويتلاشى الشح والبخل ويرتفع العدوان، وينمحي الحسد، ويسطع نور الفلاح على جبين الحياة.

كلّ الوقائع المريرة في حياة الإنسان تعود جذورها إلى الغفلة عن ذكر الله والانغلاق في حدود المصالح الذاتية، والصلاة تطلق الإنسان من أسوار هذه الظلمات وتحرره من أغلال الشهوة والغضب وتسمو به نحو الحقيقة المتعالية والخير الأشمل.

الصلاة الزاخرة بالخشوع وحضور القلب أول ما تخلق في قلب ذات المصلي جنة حقيقية يسري مداها تدريجياً إلى أجواء الحياة، وتقود المرء نحو الصلاح والفلاح، وانطلاقاً من هذه الرؤية أضحت الصلاة في كلّ الأديان الإلهية من أكثر آداب التدين أصالة، ومن أبرز وأوضح وأشمل معالم الإيمان، وجاءت الصلاة في الإسلام كأكمل صلاة وكأجمل صلاة.

إحدى البركات الناجمة عن الثورة الإسلامية في السنوات الأخيرة هي أنها استقطبت اهتمام الأئمة الطافحة بالشوق والاندفاع إلى أهمية وعلو منزلة فريضة الصلاة، وركّزت جهودها ومساعدتها على إشاعة هذا الركن.

وفي الوقت الحاضر تُبذل في كلّ سنة جهود صادقة لفتح الطريق النير للصلاة أمام الجميع، وليحظ المصلون أكثر بنصيب إقامة صلاة مليئة بالذكر والانتباه.

وتحتل أنواع النشاطات الثقافية والفنية والتحقيقية والتنفيذية موقعها في السرد الطويل لهذه الجهود. وأرى لزماً عليّ أن أتقدم بالشكر لكل هؤلاء العاملين المؤمنين بمن فيهم المسؤولين الحكوميين الكبار، وعلماء

الدين الموقرين، والشخصيات العلمية والثقافية والفنية، الشباب الغياري، والنساء والرجال المؤمنين، وشتى القطاعات الاجتماعية، وأخص بالذكر العالم الواعي المخلص سماحة حجة الإسلام قراءتي الذي جند لهذه المهمة طاقات هائلة.

ومن الضروري أن اعرض في ما يلي على حضراتكم وعلى أبناء شعبنا العزيز مجموعة من الإشارات، وهي:

1. على كلّ مصلٍّ أن يلتفت أثناء صلاته إلى معاني الكلمات؛ أي أن يستشعر في قلبه وكأنه يتحدث في أثناء الصلاة مع الإله العزيز الرحيم. ففي هذا منبع لفيض يروي ظمأ روح المصلي، بيد أن هذا المعنى يجب أن لا يتخذ كذريعة لترك الصلاة بسبب عدم حصول مثل هذا التوجّه. فهي . أي الصلاة . على كلّ الأحوال واجب وفريضة، وأثمن فريضة للارتباط مع الله جل وعلا.

2. يجب على الجهات المعنية إعداد ترجمات للصلاة على كافة المستويات وطبعها على أوراق وتوزيع ملايين النسخ منها في كلّ مكان، ليتسنى للجميع فهم معاني كلمات الصلاة.

3. يجب أن يحلّ فصل جديد من فصول إقامة الصلاة في قرى البلاد مثلما حلّ . والحمد لله . على نطاق واسع في مدن البلاد . عليكم أن تنطلقوا طبق برنامج شامل لإشاعة صورة ومعنى الصلاة في القرى.

4. حبذا لو يرسل من المدن التي يوجد فيها حوزات علمية وطلبة علوم دينية، مجاميع منهم إلى القرى في ليالي الجمعات. وليكن الشعار الأول لهؤلاء الأشخاص الذين يبلغون الدين والقيم المعنوية، هو إقامة الصلاة.

5. إنه لخليق بعلماء الدين والفضلاء الذين يعملون في مختلف القطاعات الحكومية أن يعمّروا المساجد التي لا تقام فيها صلاة الجماعة، وأن ينظروا لإمامة الصلاة كواجب كبير..

6. على المسؤولين المعنيين في مختلف القطاعات الحكومية أن يتابعوا بجد التعليمات والأوامر التي يصدرها الوزراء المحترمون بشأن الصلاة وعلى كلّ القطاعات، وفي جميع المستويات أن يكون لها شرف المشاركة في هذا الجهد المقدّس والحصول على نصيب من ثوابه.

7. ورد ذكر الصلاة في أغلب الموارد في القرآن الكريم مقروناً بذكر الزكاة. فمثل الزكاة أيضاً كمثل الصلاة بحاجة إلى جهود لا تعرف الكل وسعي صادق ومتواصل.

من المؤمل أن تكون لكم . أيها الأعزاء . مشاركة أيضاً في هذا الميدان الجديد . وعلى كلّ من يجد في نفسه القدرة على إشاعة وتبيين موضوع الزكاة أن يبادر للتشهير عن ساعديه، ليرك لنفسه في هذا المجال صدقة جارية.

أسأل الله الشكور الرحيم قبول خدماتكم على أفضل ما يتقبل الخدمات، وأن يشملكم بدعاء ولي الله الأعظم أرواحنا فداه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الخامنئي

1377 /6/18 (ه.ش).

## الصلاة معراج المؤمن

البعد الاجتماعي في الصلاة

من جملة المهام الخطيرة التي تقع على عاتق المؤمنين والخيرة من عباد الله، والتي يقترن وجوبها بإقامة الحكم الإلهي في أية بقعة من بقاع الأرض، هي إقامة الصلاة التي منحها القرآن شأنًا خاصًا وجعل لها مكان الصدارة، فقال: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ولو لم يكن لإقامة الصلاة أهمية أساسية ولو لم ينظر إليها كعمود راسخ من أجل تحقيق الأهداف الكبرى للنظام الإسلامي، لما كانت قد حظيت بكل هذا التأكيد.

والحقيقة أن الصلاة بها لها من دور تربوي جسم وتأثير عميق في تحقيق الطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين، وغرس روح التوكل والتقوى والإخلاص في قلب المصلي، وإشاعة جو زاخر بالنفحات القدسية والمعنوية من حوله، وتنزيهه والآخريين عن ارتكاب المعاصي، إضافة إلى ما تنطوي عليه ألفاظها وأذكارها من معان ودروس في المعرفة، فهي أكبر من مجرد فريضة فردية، بل لها دور حاسم في إدارة شؤون الفرد والمجتمع.

والتأكيدات البليغة التي وردت بشأن أداء هذه الفريضة، والمهمة التي ألقيت على عاتق الأبوين في تعويد أولادهما منذ الصغر على الأنس بها، أعطتها صفة لا تضاهيها فيها جميع الفرائض الأخرى، ويعود السبب



في هذا إلى الدور الاستثنائي للصلاة في تهذيب الحوافر الروحية لدى الإنسان وتمهيد الأجواء الإيجابية التي تمكّنه من تحمل الأعباء الثقيلة لواجباته على المجتمع.

وفي ضوء كلّ هذه الأبعاد يجب حقاً اعتبار الصلاة كأفضل الأعمال.

وشعار «حيّ على خير العمل» الوارد في نداء الصلاة يُعتبر بحق كلاماً فياضاً بالحكمة.

الصلاة هي التي تنفخ في روح الإنسان دواعي الإيثار ونكران الذات والتوكل والتعبّد، باعتبارها السند الحتمي للواجبات الخطيرة والمهام العسيرة كالجهاد والنهي عن المنكر والزكاة، وتدفعه لتتقّم تلك الميادين بكل بسالة.

عندما يقع هجوم من الأعداء تصبح لفريضة الجهاد أهمية استثنائية، أو حينما تواجه بعض الشرائح الاجتماعية ضغوطاً معاشية تصبح فريضة الزكاة والإنفاق شاملة للجميع، وربما تؤدي الجهود المحمومة للأعداء في ميادين الثقافة والأخلاق إلى أن تتخذ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيغة شمولية، في كلّ هذه الظروف لا تضعف الصلاة عن كونها (خير العمل) ولا تهبط من هذه المرتبة بل تزداد أهمية بسبب ما تضيفه من دعم روحي ومعنوي لجميع ألوان الجهاد والإيثار وتقمّم المخاطر.

لقد بات الإنسان والإنسانية اليوم يروح تحت وطأة الحياة الآلية وضغوطها، وذلك لهيمنة الماكينة على المجتمعات البشرية كافة. حتى صار كلّ واحد من بني الإنسان يجد نفسه مرغماً على برمجة نمط حياته الفردية والاجتماعية مع الإيقاع الثقيل والممل للماكينة والحياة الآلية. ومن الطبيعي أن سجايا الرأفة والشفقة والإيثار والتضحية وغيرها من القيم الأخلاقية الأخرى تفقد تأثيرها في خضم صخب هذا الإيقاع وتغدو باهتة لا روح فيها، وتُهدم وتُسحق في ظل مثل هذه الأوضاع أسس الأسرة، وعلاقات الألفة والمحبة فيها.

وقد استشعر معالم هذا الخطر وحدّر منه قبل عشرات السنين الحريصون وذوو النظرة الثقافية حتى في قلب الحضارة الصناعية والآلية، ولكن مما يؤسف له أن ملايين الناس وخاصة من الشباب . أصحاب النفوس الرقيقة والأكثر عرضة للضرر . لا زالوا يعيشون هذا البلاء الكبير مجردين من كلّ وسيلة دفاع ومجابهة.

هذا هو السبب الذي جعل العلاقة المعنوية مع الرب الرحيم والكريم لجميع بني الإنسان اليوم أكثر أهمية من أي وقت مضى.

وتبرز الصلاة هنا كأفضل وأجدي أداة لتأمين هذه الحاجة. البشرية اليوم أكثر حاجة من أي وقت مضى للصلاة الخالصة والكاملة.

وفي الختام وصية مع تقديري لما تبذلونه أنتم أيها الأعزة من جهود شاقة تزداد في كل سنة سعة وعطاء، أوصيكم والمسؤولين الآخرين أوصي كافة أبناء الشعب العزيز النقاط التالية:

1. على المطلعين على المعارف الإسلامية بيان شأن الصلاة وجوهرها ومحتواها وتأثيرها العميق في النفس بأساليب بليغة ومعبرة، لا سيما المتخصصون في حقل الفن إذ يمكنهم تسخير وسيلة الفن المؤثرة لإنجاز هذه الغاية.

2. على الآباء والأمهات تعليم هذه الفريضة . مظهراً وجوهراً . لأولادهم، وإذا كان لابد لهم من الاستعانة بالآخرين فعليهم بقراءة الكتب الجميلة المبسطة في هذا المجال لأطفالهم.

3. على معلمي المدارس المسارعة إلى الصلاة قبل الآخرين عند حلول وقتها، وحث الفتيان ذكوراً وإناثاً على الحضور في مصليات المدارس.

4. يجب على المسؤولين التربويين في المدارس أن يجعلوا الصلاة في مقدمة برامجهم التربوية.

5. أن يجعل مسؤولو القطاع الرياضي في البلد جو الرياضة مفعماً بذكر وإقامة الصلاة.

وعند تعيينهم لأوقات المسابقات الرياضية أن تكون الأجواء مهينة من حيث الزمان والمكان لإقامة الصلاة في وقتها.

6. على المسؤولين عن حركة وسائط النقل كالتائرة والقطار وغيرهما أن يضعوا نصب أعينهم حين البرمجة لحركة هذه الوسائط توفير الظرف الزمني والمكاني الذي يتيح للمسافر أداء الصلاة في وقتها.

7. يجب على أئمة الجماعة المحترمين أن يجعلوا المساجد نشطة وقادرة على استقطاب الناس على الدوام، وأن تتضمن برامجهم تعليم مفهوم وجوهر الصلاة بشكل حديث وجذاب.

8. على مؤلفي كتب المعارف الخاصة بالمدارس الإعدادية والجامعات أن يجعلوا الصلاة من ضمن المواضيع التي تناولها تلك الكتب بالدراسة، وأن يقدموا في هذا الصدد بحوثاً علمية وعميقة.

9. على الشباب الأعمى أن يخصصوا دقائق من وقتهم لأداء الصلاة، ويجب أن يؤدوها بانتباه وحضور قلب جهد الاستطاعة ليؤمنوا لنفوسهم وأرواحهم موجبات الذكر والخشوع والسكينة.

10. على الجميع أن يقدموا الصلاة لما فيها من شفاء للروح وسكينة ونورانية، على جميع الأعمال الأخرى، وأن لا يحرموا أنفسهم منها مهما كانت الظروف. ولا يفرطوا تحت ذريعة كثرة المشاكل بهذا الحضور المبارك بين يدي الخالق الرحيم والكريم والعزيز.

نسأل الله أن يمن بفيض الصلاة على هذا الشعب المؤمن والمصلّي.

والسلام عليكم ورحمة الله

1376/7/7

---

[1] نصّ بيان ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (حفظه الله) الموجه إلى الملتقى السنوي الخامس لإقامة الصلاة المنعقد بمدينة تبريز، والذي تلي من قبل حجة الإسلام والمسلمين رسولي محلاتي بتاريخ 10 ربيع الثاني 1416هـ.

[2] نص البيان الذي أصدره قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي ولي أمر المسلمين (حفظه الله) بمناسبة انعقاد الملتقى السنوي الخامس للصلاة بمدينة زنجان في تاريخ 2 جمادى الأولى 1417هـ.

[3] نص كلمة ولي أمر المسلمين قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله السيد علي الخامنئي (دام ظله) إلى الندوة الثالثة للصلاة التي انعقدت يوم الأربعاء 20 ربيع الأول 1414هـ. بمدينة بابلسر.